روائع من التراث



أ. مصطفى محمد فنوش

مجلس الثقافة العام

روائع من التراث

إصدارات

مجلس الثقافة العام

روائــــع من الـتــراث

تأليف

أ. مصطفى محمد فنوش

النـاشـر
مجلـس الثـقافـة العـام

اسم الكتاب	روائع من التراث
اسم المؤلف	أ. مصطفى محمد فنوش
سنة النشر	2010م
رقم الإيداع	321 / 2008 م (دار الكتب الوطنية)
الترقيم الدولي	978 - 9959 - 38 – 838 – 4
تصميم الغلاف	علي العباني
لوحة الغلاف	جلال عثمان
التنفيذ الفني	دار قباء الحديثة - القاهرة

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

إصدارات

مجلس الثقافة العام

المقر الرئيس – مجمع المؤتمرات – سرت

هاتف 002185468622 - بريد مصور 002185473161

فرع طرابلس - عمارة الواحات - شارع عمر المختار

هاتف 00218214449894 - بريد مصور 00218213335388

ص ب 2764 طرابلس

فرع بنغازي - الفويهات الغربية – الطريق الدائري الثاني

هاتف 00218612241577 - 00218612241578

بريد مصور 00218612241576 - ص ب 9351 بنغازي

بريد إلكتروني - LCC2_2005@Yahoo.ca

الإهداء

إلى روح ابني أيمن

الذي أودعته المسجد، وبعد نصف ساعة رجعت قال لي شيخه: كن جلداً واذكر الله ؛ فقد دهسته مركبة مجنونة، فلا تحزن، فقد كان في بيت الله ويحمل كتاب الله وانتقل الى الرفيق الأعلى ، قد نجح في الامتحان !

مقـــدمـة

عندما أقدمت على تأليف هذا الكتاب في التراث نتيجة فكرة سيطرة عليَّ منذُ فترة، وأخذت تربطني بها أواصر الصداقة لهذا العالم السحري الأدب الشعبي وفنونه الذي يعد إرث الأجداد الذي نتلقاه جيلاً عن جيل، عن طريقة التلقين أو المشافهة ؛ لتجذير القيم المرتبطة في ذاكرتنا على مر السنين ، والمعبرة عن أفراحنا وأحزاننا وأحلامنا. وإن سيطر عليَّ أثناء كتابتي اتجاهان رئيسيان للتراث الشعبي هما:

شقه الروحي بما يشمله من حكايات وفنون وعادات وأنماط وسلوك اجتماعي وقيم اجتماعية وأشكال العلاقات الاجتماعية، وشقه المادي بما يمثله من مقتنيات ومواد وأدوات أفرزتها الحاجة إليها في زمن الاعتماد على الذات، وابتدعتها الأيدي الليبية ، وبما تمثله كل تلك المأثورات الروحية والمادية من تجذير للهوية الليبية في زمن تدافع فيه شعوب الأرض عن هويتها خوفًا من ذوبانها في طوفان العولمة.

ونظرًا لأهمية تراثنا في تجسيد وتصوير القيم الإنسانية والأخلاقية التي ظلت حية تأبى الفناء، كان علينا أن نحافظ على عفويته وعفته وأصالته، مع تطوير طريقة عرضه وتقديمه في أسلوب قشيب جديد لمد وتوثيق جسور العلاقة بين تراثنا وأجيالنا.

وأملي أن تكون هذه المحاولة من جانبي لبنة تضاف إلى بنيته وتثمر في أرضية التراث في بلادنا.

المؤلف

تعريف التراث

هو المادة التي تتنقل عن طريق الموروثات، وبعبارة أدق هو حكمة الشعب وآدابه الذي لم يتعلمه من الكتب وتشمل الشعر الشعبي، الأمثال، الألغاز، غناوي العلم، الفنون الشعبية بأنواعها.

خصائص الشعر الشعبي في بلادنا

أولا: علاقته باللغة الفصحى:

الأدب الخاص المقروء هو أدب الخاصة من المثقفين الذين يملكون القدرة على تذوقه. أما الأدب الشعبي هو أدب كل إنسان، وينتمي إلى كل إنسان، ونصوص الأدب الشعبي بأنواعه تعتبر نصوصًا حية تتقبل الإضافة والحذف والتعديل ، بينما نصوص اللغة الفصحى تبقى على حالتها التي أبداعها مؤلفوها لكون الإضافة أو الحذف تفقد صلتها بمؤلفها، وإن لغة الشعر الشعبي لم تكن متدنية إلى أسفل العامية ، بل ظلت في مجتمعنا متكئة على اللغة الفصحى لكون رواد الحركة الشعرية الشعبية في بلادنا كان أغلبهم حفظة القرآن الكريم، مما أثرى اللغة الشعرية في أشعارهم، وإن كان الشعراء الشعبيون لا يعرفون تصنيف أفكارهم، فإن مشاعرهم وإبداعاتهم دالة على ذلك.

علاقة الشعر الشعبي بالدين:

قد يكون ما يميز الشعر الشعبي في مجتمعنا أن أغلب رواده كانوا من

حفظة كتاب الله، وقد ساهموا في حركة الجهاد مساهمة فعالة ، وقد تركوا لنا بصمتهم على الشعر الشعبي القوية التي جعلت من قوالبه الدينية عاملا ورافدا للحركة الجهادية في بلادنا. حيث حث على القيم والدعوة للجهـــاد والـــسعي للشهادة عشقا في الوطن، وقد كان شيخ الشهداء عمر المختار يردد أبياتًا من قصيدة للشيخ حسين الأحلافي تحث على الزهد في الدنيا والتسابق للـــشهادة على مسامع زملائه من المجاهدين ، وتقول القصيدة :

الـــدنيا أمفيـــت الله مـــن واليهـــا

وايـــن أصـــحابه قبلنـــا ونبيهـــا

وأيـــن بونـــا يـــادم

ويـــن الـــشيوخ اللـــي اكـــابر مقـــادم

اللـــي ينـــدهوا للعبـــد هـــو والخـــادم

وان جـــاهم ألطالـــب حاجتـــه يقـــضيها

يـــاعين كفـــى راه يومـــك قـــادم

صـــيور البنـــادم حفرتـــه ماليهـــا

هـــو اللـــي خالقهـــا هـــو

واللـــي خلـــق شمـــسها وقمرهـــا

وممـــا اللـــي صـــافت بعـــد نورهـــا

ومـــا كانـــت تحـــسب الـــصيف ايجاهـــا

علاقة الشعر الشعبي بالانتماء:

الانتماء عند الشعراء الشعبيين في اللغة التي تربط ماضيهم بحاضرهم عن طريق التواصل باللغة الأم ، فإن كان الشعراء قد افتقروا إلى المنطقية الظاهرة للانتماء فإن ألسنتهم وأشعارهم قد تداولت هذا اللفظ وأكدت وجوده عن طريق انتماءٍ فطري وعفوي وهي خصائص الشعر الشعبي ، ويعرف الدكتور محمد الجراري[1] الانتماء بأنه "وجود مادي ينعكس لدى الإنسان فكرًا وشعورًا وسلوكًا" ، وما يؤكد صفة الانتماء عند الشعراء الشعبيين حينما أغلقت الصحف وصودرت الآراء إبان الاستعمار الإيطالي واختفى الشعر الفصيح من الميدان وقف الشعر الشعبي يواجه الاستعمار وطغيانه، وقدم لنا الوثائق الدالة على بشاعة وحقارة هذا الاستعمار، حينما تناول المعتقلات وما يجري في تعذيب وإهانة لأبناء هذا الشعب الحر. فكانت الشاعرات والشعراء يلهبون مشاعر أبناء البلاد للمقاومة والاستشهاد في سبيل هذا الوطن.

وما قدمه الشاعر رجب بوحويش وملاحم معتقل العقيلة خير دليل، ولا ننسى أم الخير محمد عبدالدائم التي تعد فخرًا للمجاهدات والشاعرات الليبيات وما قدمته لنا الشاعرة فاطمة عثمان في وصف لترحيل أهالي هون إلى المعتقلات، وتناولته الشاعرة عنايا ابنة المجاهد الكبير سالم عبدالنبي الأخير دليل على ظاهرة الانتماء عشقا لهذا الوطن، حتى اليهود الموجودين في ذلك الوقت عبروا عن هذا الانتماء من خلال الشعر الشعبي، فهناك يهودي يعلن مساهمته في حركة الجهاد فيقول:

البوبرطلة ما نعطليته
الوطن اللي جابتني فيه

هو يعني بابوبرطلة الجندي الإيطالي ، ذلك هو الانتماء في أشعارنا الشعبية للوطن.

---

(1) محاضرة غير منشورة.

التأريخ للشعر العربي

التاريخ هو دراسة الإرهاصات الشعرية للشعر الشعبي فـي بلادنـا، وهي المعرفة التاريخية للبداية والغوص فيها ، ومعرفة المفاهيم التـي قـام عليها ، والقيم التي تناولتها، والجذور التي نبتت وتفرعت، والمياه التي روتها منذُ الطفولة حتى نما وترعرع وأصبح بقوافيه الحاليـة، رغـم أن الـوطن العربي كله أرخ لمسيرته الشعرية الشعبية ما عدا نحن لم نقتحم غمار هـذه المغامرة بعد. رغم أن الشعر الشعبي واكب حركة الجهاد منذ البداية، وكانت القصائد التي قيلت في المعتقلات وخارجها أروع وثائق تاريخية وكانت من أسباب نمو الوعي والوطنية لدى أبناء هذا الشعب ، ومادمنا نستلهم ونستوحي من القصائد أمجادنا وبطولتنا السالفة فلماذا لا نعود وندرس ذلـك، وتكـون عودتنا أصيلة متبصرة لدراسة التاريخ الشعري في بلادنا منبع هذه الدراسة على العقل والفهم الصادق لعلاقة ماضينا بحاضرنا.

لماذا لم يتم التأريخ للشعر الشعبي عندنا ؟

لأن ليبيا منذ الفتح الإسلامي حتى أوائل القرن العشرين لـم تـساعد الظروف للتأريخ الشعري الشعبي، حيث تميزت هذه الفترة بالاضـطرابات السياسية وعدم الاستقرار، مما انعكس ذلك على بنية الأوضاع الاقتـصادية والاجتماعية والثقافية ، وكذلك تعرضت البلاد لكثير من الغزوات المتعـددة منها غزوة بني هلال وبني سليم ، ومغامرات قراقـوش ، وابـن غانيـة ، وهجمات صليبية أسبانية، وفرسان القديس يوحنا ، ومغامرات على برغـل

وغيرها .. وماذا خلف كل ذلك ؟ عمليات هدم وتدمير ومسح وحرق العديد من المكتبات وضياع الخزائن والمخطوطات النادرة ، كل ذلك جعلها تتأخر عن مواكبة التطور كبقية أجزاء الوطن العربي.

ليبيا دولة عاصمتها خارجها

حرمت ليبيا من أبسط حقوقها في أن تكون دولة تملك قاعدة الحكم بمعنى أن ليبيا دولة لها عاصمة خارجها لم تختر طرابلس أو بنغازي عاصمة حتى تتمتع بنفوذ سياسي للعاصمة ، ويحدث روج اقتصادي ونشاط بحيث تصبح فيه طرابلس عامل جذب للعلماء والأدباء من مختلف أقطار الوطن العربي ، فمثلا أيام حكم الأتراك لم تكن العاصمة طرابلس ، بل كانت عاصمة ليبيا اسطنبول . وكذلك إبان الاستعمار الإيطالي كانت عاصمة الحكومة الإيطالية روما ، ولم تكن طرابلس أو بنغازي، وأثناء الاستعمار البريطاني كانت أيضا العاصمة لندن ولم تكن طرابلس.

كل تلك الاضطرابات وعدم الاستقرار ماذا أثمر؟ الناتج تخلخل في البنية الاجتماعية والاقتصادية.

تعرض أبناء الوطن إلى هجرات طواعية وهجرات إجبارية الهجرات الطواعية هجرات خارج الوطن إلى مصر، تونس ، والسودان ، وتشاد والهجرات الإجبارية ما حدث إبان الاستعمار الإيطالي في اختيار العناصر الفعالة والمؤثرة في حركة الجهاد ونفيهم إلى إيطاليا.

وقد زار " فولني " الفيلسوف الفرنسي بلاد الشرق وتركيا في أواخر القرن الثامن عشر ماذا قال عندما راعه ما بها من جهل مطبق وفساد عم كل البلدان؟

وجاء[1] في كتاب الأدب الحديث لعمر الدسوقي عن ليبيا " الجهل عام على البلاد اللهم هذا الإشعاع الذي ينبعث من بعض المعاهد " ويذكر الأستاذ الطيب الأشهب في كتابه " برقة العربية " [2] أن التعلم كان متأخرًا لدرجة أن الإنسان بالبادية إن جاء له كتاب لا يجد من يقرؤه فيتكلف الذهاب إلى أقرب مدينة " كل هذه قد تكون عوائق باعدتنا عن التأريخ لحركة الشعر الشعبي في بلادنا ، ولكننا في حاجة أن نعرف أنفسنا وكيف تكون الحركة الشعرية لدينا حتى نزيد بصرنا حدة وأدركنا نقادا وحكمنا عليه رجاحة ؛ لأن الإنسان كلما كان وعيه بالماضي أخص كان أقدر على الإنتاج والإبداع.

حاجة ملحة الآن لدراسة الشعر الشعبي

الشعر الشعبي هو ذلك الديوان الذي تركه لنا الأجداد بعد أن جسدوا فيه أروع ملاحكم العشق في هذا الوطن ، حيث احتوى على الوصف الحي للمعارك التي خاضها شعبنا ضد الغزو الإيطالي ، ومن خلاله عرفنا مدى البشاعة والحيوانية التي كان عليها الاستعمار ، حيث تناول الشعر تعليق أبطال هذا الوطن على أعواد المشانق دون أن يرتكبوا ذنبا تجاه الحكومة الإيطالية سوى عشقهم لهذا الوطن وتقديمهم أغلى ما يملكون وهي أنفسهم ، وهم في غاية السعادة ، عربون وفاء لهذا التراب الطاهر ، كل ذلك لم نعرفه إلا من خلال الوثائق الشعرية التي تركها الشعراء دوّن القليل منها وضاع الكثير في صدور الرواة ، والمعلوم أن الشعر الشعبي واكب تلك الحقبة من تاريخنا مواكبة مرئية ، وحينما نؤكد على كلمة مرئية أقصد منها ما نقل لنا عبر الكلمة الصورة الناطقة والحية عن معاناة أبناء بلادنا إبان الاستعمار ، ولم ينس وسط

(1) في الأدب الحديث لعمر الدسوقي، ص 9.

(2) برقة العربية للطيب الأشهب، ص 57.

هذه المعاناة أن نقل لنا أيضا ما يدور في خلجات النفــوس وعواطفهــا تجــاه المرآة في قصائد غاية في الروعة تدل على نقاوة العشق في تلــك الفتــرة ، فجاءت قصائدهم إلينا محملة بالمصداقية في الوصف والقدرة البلاغيــة فــي التشبيه والترابط والانسجام في بناء قوافي القصيدة ، فكانت قصائدهم عبــارة عن ملاحم رغم كثرة تعداد الأبيات في القصيدة إلا أنها كانت غاية في الإبداع وجسرا متواصلا عبر تأكيد الصورة المرسومة لمضمونية القصيدة وبــالرغم مما تقدمه لنا من إنجازات دونت بأحرف من النور فــي تاريخنــا الجهــادي البطولي إلا أن الباحثين في مجال التراث الشعبي بصفة عامة قلة والكتب التي ظهرت في هذا المجال قليلة ، باستثناء الجهد التي قدمته كلية الآداب والتربيــة في جامعة قاريونس من حيث جمع ما بقى في صدور الرواة ومن ثم نــشره ، كما هو محاولة نشكر عليها طلبة الآداب ، وإن كنا نطمــح فــي مثــل هــذه المؤسسات العلمية وغيرها أن تحذو حذو الجامعة الأخرى في الوطن العربــي أو بقية البلدان من حيث إعطائه أهمية الدراسة والتمحيص والنقد لكل مجالات إبداعها الشعبية ، خاصة إذا ما عرفنا أن في العالم الآخر تم إنشاء جامعــات متخصصة في مجال التراث تغطي هذه الدراسات جميــع جوانــب الإبــداع الشعبي وتمنح الرسائل العلمية في إطار لذلك.

الفرق بين الشعر العامي والشعر الشعبي

كثيرا ما يخطئ البعض في توضيح جوانب الفرق بين الشعر العامي والشعر الشعبي ، فالشعر العامي : أدب مكتوب باللهجة العامية ولا يعبر عن مجموع الشعب لأنه يعبر عن كاتبه فقط ، أما الشعر الشعبي : لا يكون شعبيا إلا إذا عبر عن مجموع الشعب وهمومه لا هم فرد فيه ، لذلك يكون ارتباطه بالمبدعين المجهولين كما ارتبط بالجماهير الشعبية في مجتمعنا فعبر عن أفراحها وأحزانها وأحلامها ومآسيها.

لذلك يعد التراث تعبيرًا عن مكنون الأمة الواحدة كأن نقول الأمة العربية أو أبناء الوطن العربي.

البحث عن الهوية الذاتية :

وهي ظاهرة انتشرت في الفترة الحديثة في كثير من الدول التي دخلت الضوء والثراء حيث تصورت أن لاستكمال ملامحها كدولة يرتبط بأن تكون لها شخصية مستقلة ، وذلك بإثبات هويتها الذاتية المنفصلة عن شخصيات المجموع ، ويكون ذلك عن طريق التراث أو الفلكور ، لذلك سمعنا عن الكوتنا، والضباينة ، والسودنا ، والسعدنا ، رغم أن البحث عن هوية ذاتية خاصة منفصلة عن الإطار العام لمجتمعنا العربي قد يكرس لدى بعض أقطار الوطن العربي الشعور بالاستعلاء ، مما يؤدي ذلك إلى فقدان الهوية الحقيقية، وبالتالي الانفصال عن الأمة التي تضم مثل هذا ، فإننا لا نرفض محليتك ولكن يجب دراسة شخصيتك المحلية وأخذ ملامحك الخاصة لأعطيك ملامحك العامة المشتركة بينك وبين باقي الأقطار العربية ، وبالتالي حتى

يحدث الاندماج الفكري والثقافي ولا يحدث الانفصال ، ولتقريب الفكر فقد تم في أوائل السبعينات إنشاء فرق للفنون الشعبية في كافة المحافظات أخذت كل فرقة تجسد البيئة المحيطة بها في شكل لوحات فنية راقصة قدمت بها مظاهر الأفراح والحصاد، والجهاد وغيرها وتم إنشاء فرقة قومية في طرابلس تجمع في عروضها شتى اللوحات الفنية لفرق الفنون الشعبية بالمحافظات ، حيث انصهرت الأعمال الفنية المحلية في قومية الوطن الواحد ورغم بقاء الفرق المحلية في دورها الفني وبشخصيتها المحلية أيضًا.

كرسي الأدب الشعبي

في البداية وقع المصريون في خطأ حينما قام في جامعة القاهرة تحت اسم " كرسي الأدب المصري " ، وكان يدرس أدبًا مصريًا البحث فيه عن الشخصية المصرية من خلال آدابها ، كان أستاذه أمين الخولي الذي جمع محاضرته في كتابه " الأدب المصري "، وحينما تم قبول الطلبة القادمين من كافة أقطار الوطن العربي لإعداد البحوث والدراسات عن بيئتهم وبعد تجميع الجهد البحثي لهؤلاء الطلبة وجد الأساتذة أنفسهم أمام إنتاج قومي موحد ، ومن هنا تم الاعتراف بالخطأ وتم تغير اسم الكرسي من كرسي الأدب المصري إلى كرسي الأدب الشعبي ، لكون الباحث في التراث لا يستطيع أن يحلل ويفحص بيئته المحلية وهي في عزلة عن البيئة العربية ككل ، لذلك خرج الأدب الشعبي من الخصوصية المحلية الضيقة إلى رحابة المنطلق العربي العام.

غناوة العلم

ارتبطت عندنا بأوجه معاني الحياة مما جعلها تتردد في أفراحنا وأحزاننا حتى أثناء الحروب كانت النسوة تلهب المشاعر وتبعث الحماس والشجاعة في نفوس المجاهدين.

وأغنية العلم لا يعرف قائلها مما جعلنا نقول إنها شعبية رغم كون القائل شخص لأنه أثناء الانتقال يطرأ عليها حذف أو إضافة أو استبدال لبعض ألفاظها دن الإخلال بسماتها الأساسية لتكون غناوة علم تدون في سجل التراث الشعبي ، ومنها أن تكون متجانسة التراكيب اللفظية وقريبة في التفاعلية الموسيقية وتعبر عن موقف أو تجسد لحظة تنقل القارئ أو السامع إلى أجواء الموقف التي قيلت فيه أو من أجله وأن تمتاز بشفافية تجعل معانيها واضحة لكل سامعيها، وهي ليست حكرًا على الرجال ؛ فكثير من الأغاني قيلت من قبل المرأة .

وسنتطرق إلى غناوة علم تحمل في ثناياها قصة عاطفية .

" التقى شاب على منبع المياه بفتاة كانت محط إعجابه ولم يكن يعرف مشاعرها نحوه في الوقت التي كانت هي أيضا تبادله نفس الشعور ولكنه أخذ زمام المبادرة بغناوة علم تقول : " تسال ناس ويسألوك .. واللي يا علم خالي طرف ... وهنا ترسم الابتسامة على محيا الفتاة وسرعان ما تطلق العنان لمخيلتها تستحضر الرد حيث تبادره قائلة : لا يسال ناس لا يسألوه .. العقل يا علم خالي طرف ".

نلاحظ مدى التقارب والدقة في ترتيب الألفاظ في الغنــوتين والدلالــة الكبيرة على احتوائهما على معاني سامية عبرت عن موقــف أراد الاثنـــان معرفة جوانبه في لحظة ممزوجة بالإعجاب والتردد خالية من التطفل علـــى أحاسيس ومشاعر كل منهما.

رحيل وقمره حكاية غنوة علم

عاشا وترعرعا معًا في القبيلة ، ألعابهما وطموحاتهما كانـــت تنمـــو وتكبر معًا. فكانت قمره هي العروس في السعادة حين يقدم عليهـــا فـــارس يمتطي قطعة خشب وكأنه جواد ليخطفها إلى عش الزوجية ، ومـــع الأيـــام عرف الجميع بقصة حبهما الطاهر واتفق الأهل على زواجهما في حياتهم ، وحددا أسماء الأولاد والبنات . رحل والده فجأة وساءت حالة أمه من جـــراء ذلك ولحقت به بعد عدة شهور ذاقت فيهم ويلات المرض كلفت "رحيل " مـــا تركه والده اضطر بعد ذلك لمغادرة القبيلة باحثًا عـــن عمـــل لجمـــع مهـــر محبوبته بعد أن أخذ منها المواثيق بالانتظار والوفاء بالعهد وتأكيدًا لذلك قالت له غنوة علم :

غــــــــلاك لا تخـــــــــاف عليـــــــــه

ســــــتين تامجـــــــة بارمـــــــات بـــــــه

بعدها غادر الرجل يبحث عن عمل استغرقت الرحلة ثـــلاث ســـنوات كانت فيهن قمره هي البلسم الشافي له في وحدته ، وأخيرًا قرر العودة ليحط ضيفًا على القبيلة ليلة فرح ويفاجأ حينها بعلم أن العروس هي محبوبته قمره، حينها تبددت أحلامه واسودت الدنيا في عينيه ، وهو يرى قمـــره تغمرهـــا

الفرحة وهي تزف لغيره ، يخترق الصفوف والدموع تنهمر من عينيه وهـو يرد على مسامع الجميع غنوة علم :

غـــــلاك ويــــــن غيــــــر عليـــــــه

حتـــــــى تويمجـــــــه مـــــــا ديـــــــرت

غناوة العلم كوسيلة إنذار

وضعت الترتيبات بين القادة الطليان والمجاهدين الليبيين على عقد اجتماع تفاوض وصلح في منطقة " المروة " بالجبل الأخضر ، وحضر وفد المجاهدين للتحاور مع الطليان الذين كانوا قد بيتوا الخيانة والقضاء على الوفد المتفاوض وعندما علم الحراس وهم عرب ليبيون قد جندوا في خدمة الطليان بما ينوي القادة فعله بعد حضور الوفد المكون من المجاهدين، فلم يكن أمامهم سوى إطلاق غناوتي علم تعلم المجاهدين بما يدبر لهم من قبل القادة الطليان وكان عليهم أن يبادروا بإبعادهم عن المكان حفاظًا على أرواحهم، فقد أطلق العسكري الأول من الجهة المقابلة العنان لحنجرته وهو يردد هذه الغنوة :

الجـــــار مــــــا يخــــــون الجـــــار

وحنــــــــا جارنــــــــا خاينينــــــــــه

وبمجرد الانتهاء من ترديد الأغنية وإعادة كلماتها وهي تأخذ حيزًا من الوقت يصغي فيه المجاهدون وهــم يراقبــون الترتيبــات لإعــداد طاولــة المفاوضات ينطلق الإنذار الثاني من الجهة المقابلة الأخــرى حيــث يــردد العسكري المكلف بالحراسات الإنذار الثاني والتي يتناول الأغنية التي مفادها:

يـــــا محـــــــافظين الــــــــدور

جـــــــاكم الـــــــــسيل وغمكـــــــــم

وهنا يتيقظ المجاهدون للمؤامرة المدبرة لهم وتستبدل الخطة بدلا مــن

أعداد نقاط التفاوض مع الطليان إلى إعداد لغة البنادق، فيقومـــون بمباغتـــة الطليان ويلحقون بهم خسائر فادحة بعد أن تم فك شفرة الأغنيتين.

وهكذا لعبت غناوة العلم في حماية المجاهدين من الوقوع في بـــراثن المؤامرة التي دبرت في الليل للقضاء على النخبة من المحافظين.

الدين في غناوي العلم

إذا قامت علاقة عاطفية بين اثنين فهي في البداية وكأنها شركة ، الفائدة منها تعود على الاثنين وقد يتولد من هذه العلاقة بعض المأثورات الشعبية الدالة على مدى درجة العلاقة بينهما ، وقد تتعرض هذه العلاقة إلى رياح تعصف بها فتزداد درجة الاستعانة بغناوي العلم أو قصائد الشعر الدالة والمعبرة عما يجشن في صدور الحبيبين ، فإن انتهت هذه العلاقة بالنهاية الطبيعية، وهو الزواج ينتهي في الغالب الحماس والشوق والبعد والجفا عند الاثنين بتلاقيهما حتى وإن وجد ما يعبر عنه بالموروث الشعبي ، فتكون القدرة الإبداعية في طرح الفكرة وإيجاد الصورة عادية ولكن إن ترك أحدهما الآخر لظرف معين كزواج وإيجاد البديل أفضل من الآخر ، هنا يصبح الدين قائمًا على الطرف المبادر وكأن الشركة بينهما قد أفلست وحق لأحدهما دين عليه أن يسدده للآخر، وهذه روعة التراث في كون الشعراء استحضروا كلمة الدين ووظفوها توظيفاً جديدًا في العلاقات العاطفية ، وترك تحديد قيمة هذا الدين، وطريقة الحصول عليه لكل مبادر في رسم غناوة العلم وما تحتويه من أفكار وصورة عظيمة الطرح مع الفكرة في إيجاز وبلاغة في تناول ، وهذا ما يمتاز تراثنا الشعبي في حياتنا.

غناوة العلم :

واخترنا عينة من كبار شعرائنا للدلالة على الدين في الموروث الشعبي أو الدين.

الشاعر عبدالكافي البرعصي :

يطرح لنا من خلال صورة إبداعية غاية في البلاغـة قـصة علاقـة عاطفية قد ربطته مع محبوبته والتي حالت بينهما الظروف لإتمام هذه العلاقة وأصبحت هي زوجة لغيره، رغم ذلك ما زالت تسكن أعماقه وتسيطر علـى أحاسيسه ومشاعره، ورغم زواجها من غيره إلا إنها كانت ظالمة لـه فـي كونها أخذت عقله رهينة باعتبارها لديها دين عنده في صفقة حب بينهما، وقد يكون اعترافًا من الشاعر في كونه قد ساهم في زواجها من غيره لكونه لـم يبذل الجهد المطلوب معها أو كان مرتبطًا عاطفيًا بزوجة قبل هذه العلاقة.

العقـــــل واخـــــذه مرهـــــون

رهينـــة عليـــه ديـــن فـــي الغـــلاء

الشاعر عيسى الفاخري :

قد يعترف الشاعر لنا اعترافًا صريحًا في كون العلاقة مع الحبيبة قـد قامت فعلاً ونمت وترعرعت ولكن حدث ما عكر صفو هذه العلاقة وجلـسنا معًا نتناقش لفض هذه العلاقة بصورة مهذبة إيفاءً للأيام الحلوة التي قضيناها معا ولتبقى ذكره جميلة يتذكر كل منها الآخر حينما يراه وإن عملية الفـض لهذا العلاقة كانت يوم وجدنا أن لا سبيل لنا سوى إنهاء هـذه العلاقـة، وأن الحبيبة الآن زوجة للغير ولا تطالبني بالدين ما بيننا لأننا تفاهمنا فـي كـل شيء في هذا اليم المشهود في علاقتنا العافية، ولكل بداية نهاية.

متقاصـــــين يـــــوم خطـــــاء

مرهـــون مـــاو بـــدين يـــسألني

الشاعر سليمان العبدلي :

قد يترفع الشاعر عن صغائر الأمور ولا يوجه اتهاماته للحبيبة عما بدر منها من أخطاء في هذه العلاقة العاطفية رغم كونه يؤكد لنا أنه صاحب حق ولديه دين في عنق الحبيبة ولكن طالما هي رحلت عني للغير ورحلت عنها لغيرها فإنني إكرما لهذا الأيام الحلوة والموقف الجميلة التي قضيناها معًا فإنني اعتبر ما يحق لي من دين من هذه العلاقة زكاة يمنح مني للمحتاجين وهذا وفاء لها ولعلاقتها معي.

عديتـــــه عليـــــة زكـــــاة

مرهـــون مـــا بـــدين انطالبـــة

الشاعر إدريس السعيطي :

وقد يؤكد لنا الشاعر بمصداقية أن العلاقة قد كانت ونمت وترعرت بيننا أواصر المحبة ولكن سبب إنهاء هذه العلاقة قد لا نرجعه لواحد منا وكل منا ساهم في إنهائها. وإن كانت هناك حقوق أو مديونية فكل منا يحق من الآخر دين ولكن لو نجتمع لمعرفة أي أحق من الآخر فسنقع في مآزق كثيره وتتعدد الأسباب، فهي الآن زوجة لغيري ولتبق الذكرى الجميلة عائشة بيننا.

عليـــه وعلينـــا الـــدين

مرهـــون لـــو نعـــدوه وجـــدان

الشاعر عبدالفتاح العقيبي :

وقد يعترف لنا الشاعر بعشقه لهذه المحبوبة، ليس على مدى عمره ولكن يستمر هذا العشق حتى يوم البعث ونهاية الحياة على الأرض، ورغم

كونها أصبحت زوجة لغيري فإن حقي وديني حيالها رصيد حتى ذلك اليوم، وهذا ما يطلق عليه الوفاء للحب.

م ليـــــــــوم لانهـــــــــار البعـــــــــث

مركـــــــون يـــــــامراهين ديـــــــنكم

الشاعر أحمد شغلان :

وقد يتناول الشاعر علاقته بالحبيبة التي أحبها وأخلص لها وذلك كـل السبل لاستمرار هذه العلاقة ورغم أنها لم تكن على مستوى عشقه لهـا وإن حاولت أن تسدد ديوني نحوها حتى آخر عمرها فإنني أقول رغم ما قدمتـه في حياته استحقت بعد الممات دينًا آخر.

يـــــــدي عزيـــــــز نـــــــين ايمـــــــوت

ويفـــضل عليـــه مـــن دينـــي شـــوي

الليل وغناوي العلم

الليل هو أنيس العشاق وإن كان النهار يكون فيه الشخص مشغولاً بمهام أعماله اليومية، ومن خلال التلاقي مع الآخرين قد لا يجد وقتًا ليخلو بنفسه ليفكر فيما يشغله، وقد يمر النهار بسرعة البرق ولكن حينما يسدل الليل ستاره وفكأنه يقبض على قلوب المحبين فيخطر عليهم الهموم والمشاكل والعلاقات العاطفية حيث يصبح الليل عندهم أطول من النهار بكثير، وقد ينام المحب فيه دقائق ويقوم فيه مذعورا يعتقد أنه استغرق ساعات في نومه.

حيث نجد الشاعر سليمان شريمة يؤكد لنا أن النوم في حالة هجرته معه وأنه لا يصل إلى حالة النوم الكاملة طيلة الليل باستثناء القليل وما يسمى عندنا التغفية، وهي دقائق معدودة يجسد لنا هذه الحالة في غناوة العلم :

انغفـي فيـه فنيـت قليـل

مـا أطـول الليـل ياراقـدين

ويتناول الشاعر احميدة عيسى الليل في شتاوة يعلن فيها أنه يكره الليل كراهية مطلقة لأنه يحارب النوم في عينيه ويصبح طيلة الليل في حالة اليقظة وتكثر عليه الهموم ويخطر عليه الحبيب في دقائقه وساعاته الطويلة.

فيقول لنا في الشتاوة:

اكـره مـا نكـره طـول الليـل

انغفـي فيـه انفيـت قليـل

وتصل حالة عدم النوم عند الشاعر محمود البرهمي حتى يلجـأ إلـى الحيلة لينعم بقسط بسيط من النوم ويحاول أن يغفو فيه دقـائق معـدودات، ورغم ذلك يحس بطول الليل ويشكو لنا منه في هذه الشتاوة :

انغفـــــي ونحايـــــل ع الليــــل

بهــا بلكــل مـــازال طويــل

ويتناول شاعر آخر غير معروف لنا هذه الحالة فيقـول إن حـضور الحبيبة قد طردت حالة النوم من عينيه:

غيابـــــك عليــــك خطــــروا

عقــب ليــل مــا فيــك مــا رقــد

ويحاول شاعر آخر أن يتمنى أن يحلم بصورة الحبيبة ويتذكر معهـا المواقف الحلوة بينهما ولكن غياب النوم لا يجعل الحلامـة ترسـم صـورة الحبيبة في ذاكرته؛ لأن ذلك يتطلب وجود حالة النوم وهي غير متوفرة لديه:

حلامـــــة تجيــــب عزيـــز

تريــد نــوم ونــوم وينهــوا

فقد حاولنا أن نستحضر نماذج من غناوي العلم والشتاوات للدلالة على الحالة التي يعيشها الشعراء وهم يطاردون النوم.

نموذج مقارنة بين الشعر العربي وغناوي العلم

أهمية التراث لا تنبع من كونه أدبًا مكتوبًا باللهجة العامية وإن البعض يرى أن هذه اللهجة قد تكون عامل هدم للغة الأم اللغة الفصحى في كيانهـا، أقصد اللهجة العامية هي خروج عن التراكيب والقواعد اللغويـة المتعـارف عليها في اللغة الفصحى، لكن لديها مقومات البقاء علـى مـر الـدهر مـن مفردات وأساليب ، ولكن أهمية العناية بالتراث مصدرها سجل حي ينـبض بالإبداع الشعبي ومقياس صادق يعبر عما يجشن به الشعب مـن أحاسـيس ومشاعر عن الفترة التي ظهر فيها، والقيم والأفكار والسلوك عند الـشعوب إبان إبداعها بهذه الأعمال الفنية، وحينما نستحضر بعض الأبيات من الشعر العربي لنؤكد من خلالها قرب موروثاتنا من الأدب الشعبي من اللغة العربية نصا ومضمونا، أفكارا وأحاسيس نجد التجانس والتقارب بين الأفكـار وإن الاختلاف في أسلوب الطرح بين وعاء اللغة الأم واللهجة المحلية. وهذا مـا يعطينا مؤشرا بأن لهجتنا المحلية قد تكون أقرب اللهجات العربية من اللغـة العربية الأم وهذا ما تؤكده النماذج التالية :

مجنون ليلى يقول :

فـــشب بنـــو ليلـــى وشـــب بنوابنهـــا

وأعـــلاق ليلـــى فـــي فـــؤادي كمـــا هيـــا

يتناول امرؤ القيس علاقته بالحبيبة ليلى هي علاقـة دائمـة تتحـدى الزمن، فالحب لها لا يتقيد في كونها شابة حتى بعد زواجها وإنجابها للعديـد من الأبناء، العلاقة العاطفية كما هي باقية حتى وإن تزوج الأبناء ووصـل

أبناؤهم إلى مراحل متأخرة من أعمارهم نفس العلاقة بالحيوية والحماس والشوق التي كانت في بدايتها، وهذه علاقة أبدية تتحدى الزمن لا نهاية لها سوى الموت.

ونفس المعنى مع الاختلاف في العلاقة الزمانية نرى أن الشاعر الشعبي يعبر عن نفس المضمون لدى امرئ القيس، ولكن يختلف معه في الزمن فلا يجعله مطلقًا، وهذه روعة الشعر العربي، فنجد غناوة العلم تقول :

يدودش ولد اولدك

ولا غلاك جاء دونه غلاء

وكلمة يدودش كانت تعني تدريب الطفل وهو يخطو خطواته الأولى في معترك الحياة.

يقول الشاعر الكبير المتنبي :

وما عشت من بعد الأحبة سلوة ولكن ... لنائبات حمول

وتقول غناوة العلم :

صبار والكواين فيه شديد

عزم تاريت خاطري

فالمعنى المقصود من البيتين هو أن الشخص بعد فراق الحبيبة فارق الأيام الحلوة واللحظات السعيدة وامتلاك خاصية الصبر على نوائب الدهر وحمل العبء الثقيل من جراء فراق الحبيبة.

المكابرة في الأدب الشعبي

المكابرة لها أوجه متعددة في الحياة وقد يكون الدافع لها كثرة الأموال مما يجعل البعض يعتقد أن الآخرين يسعون خلفه من أجل الاستفادة المادية، فيتمادى في المكابرة عليهم وهو يعرف حاجتهم إليه للاستفادة من أمواله، وقد يكون مصدر المكابرة التعليم والثقافة وإحساسه بأنهم دونه في المستوى، فيجعله ذلك يبالغ في الشعور بالمكابرة رغم أن سمات الثقافة تجعل من الشخص يميل نحو التواضع والبساطة في تعامله مع الآخرين.

أما المكابرة في الموروث الشعبي فهي أنقى وأعذب المكابرات جميعها لأنها مكابرة العشق، فالمرأة التي تعرف أنها جميلة وأن جمالها أخذ يسرق الأبصار والعقول لكونها ترى أنه نوع من التدلل وقد يكون مرجعها الأنوثة التي تجعلها تتكابر على الرجال ، وقد يكون خفة الظل التي تجعلها محبوبة لدى الآخرين، وقد يكون مصدرها عقل وأسلوب وحسن التدبير أو معرفتها الجادة بصوب خليل وانجذاب الرجال نحوها، ونحن نتناول المكابرة في الأدب الشعبي في قصيدة شعبية أو غناوي العلم أو شتاوة وإذا عاش أحد المبدعين الشعبين تجربة عاطفية وجسد معالمه في نص إبداعي يتعاطف مع زملائه الشعراء بالسير على الطريق الذي عبده لهم ويعايشون تجربة زميلهم وكأنها تجربتهم الشخصية، وحينما تناول الشاعر الكبير مراد البرعصي المكابرة في قصيدة له جعل منها موضوعاً يتناوله الشعراء غاية في الجمال حيث شبه لنا الشاعر مراد البرعصي تلك الفتاة وكأنها غزال الحطية الذي يزهو في الصحراء بجماله ورشاقته، ولكنه يأسف في كون هذه العلاقة لم تتم بشكلها الطبيعي لدخول عنصر المكابرة لدى الفتاة، فلم تتم العلاقة

العاطفية بينهما لا لوجود شخص آخر ينبض قلبها نحوه، ولكنها المكابرة عند الفتاة ، وبعد مرور الوقت كان للزمن كلمته حيث بدأت علامات الكبر ترسم ملامحها على وجه الفتاة مما جعلها ذلك ترضى الزواج من رجل مسن وتدخل زوجة ثانية على عجوز ذلك الرجل مما جعل الشاعر مراد البرعصي يجسد لنا هذه الحالة في قصيدة مطلعها:

أعلمتهـــــا معطيــــــة ذرة عــــــزوز

وهــــي غــــزال حطيــــة واســـنين كــــابرت

وقد تأثر مما طرحه الشاعر الكبير مراد البرعصي العديد من الشعراء الشعبيين، فنجد الشاعر شريمة يجسد لنا الحالة ويتناول الفكرة بأسلوب آخر، وهي أن يكابر الحبيب سنوات عديدة على المحب ثم يخسر بعد ذلـك كـل الأشياء ولا يكون أمامه سوى النزول أو الهبوط وفقـدان حريـة الاختيـار والرضا بمن هم أقل منه في غناوة علم:

واكــــــابر عزيــــــز ســـــــنين

فالتـــــالي نــــــزل دار عاقبـــــــة

ويساهم أيضا الشاعر الكبير عبدالكافي البرعصي في هـذه الرحلـة المكابراتية، ويتأثر بما يتأثر به أنداده في مطلع القصيدة ويجسد لنا تلك الفتاة التي كابرت على الآخرين لسنوات عديدة ويستعير كلمة غنوة وهي لا تعني غنى المال المعروف لكن تعني : سدوا حاجاته ورضى بالقليل في قصة حب في كونها ترضى أن تكون زوجة لرجل ينقصه الكثير من صفات الحبيـب الذي كان يرغب في الزواج منها ويتناول كلمة ما يملوا العين دلالـة علـى كثرة النقص وعدم التكافؤ بينهما.

فتقول غناوة العلم:

بعـــــــد كـــــــابر مرهـــــــون ســـــــنين

غنـــــوة اللـــــي مـــــا يملـــــوا العـــــين

ويساهم في عقد المكابرة ونظم معانيها شعبيا الشاعر احميدة عيـــسى، ويؤكد لنا أنه العزيز وهى الحبيبة ، والتـــي تتـــصف بالـــصفات الحميـــدة والمحبوبة لدى الآخرين، تترك مكانها الطبيعي وتتنازل عنه بعـــد المكـــابرة وتتخذ دارًا أقل مستوى من كان متوقعاً لها :

بانـــــــــت فيـــــــــه عزيـــــــــز صـــــــــغارة

نـــــــزل فـــــــــي دار ومـــــــــاهي دراه

وبعد تناول المكابرة في الموروث الشعبي واختلاف الطرح في الشكل والاتفاق في المضمون نجد الروعة في البساطة التي تناول بها الأدب الشعبي المكابرة بأصدق معانيها والتعبير عنها بعفوية التراث.

الفروسية

هي كلمة لها مدلولات عظيمة لا تتوفر إلا في الفارس ولا يعد كل من يمتطى صهوة الفرس فارسًا، فالكلمة أخذت معاني سامية يجب توفرها في كل فارس صفاته حميدة وإن كانت هي عربية أصلية يتغنى بها الشعراء في أشعارهم وتحدث عنها الحكماء في أقوالهم منها الكرم وهي سجية الحر، وقد تبارى الجميع في ضرورة السخاء وتم مدح الجود في قصائدهم وقد حث الرسل على هذه الخصية الحميدة وهي الإنفاق عن سعة والفارس يكون أسلوبه في العطاء أروع من العطايا نفسها، ويعد كرم النفس من صفات الفروسية وهي تسامح الفارس عن هفوات الآخرين حتى وإن كانت تلحق الأذى به، وتعد من صفات الفارس أيضا كرم القلب وهي صفة كانت لابد أن يتحلى بها كل فارس يطمح في سيادة القبيلة وقد سأل أحد الفرسان عن الحلم فقال : أن تعطي من حرمك وأن تصل من قطعك وأن تعفو على من أساء إليك، وقد ترك لنا الفارس على بن أبي طالب وصية جديرة بالفرسان أن يتحلوا بها : "إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكرا للقدرة عليه".

وسئل فارس عن الفروسية فقال : العفو عن الذنوب والشهامة إزاء العدو وتعد صفة الشجاعة من صفات الفارس هي اقتحام وارتياد المجهول والتضحية بالنفس حتى من أجل الآخرين.

ماهية الأدب الشعبي

الأدب الشعبي هو ذلك الإبداع الفني الذي جسد حياتنا منذ أقدم العصور، بكل ما فيها من فخر واعتزاز ومواقف مليئة بالشجاعة ومناصرة المظلوم والوفاء والكرم، رغم أننا نادرًا ما نعرف مؤلفه وهو يعتمد على الكلمة المطروقة كالأقوال المأثورة وغناوة العلم والقصيدة الشعبية والمجرودة والحكايات الشعبية والألغاز والأمثال الشعبية وبالتالي لا يجوز أن تطلق على الأعمال التي تقدم في الإطار الشعبي والتي هي من خلق إبداع فردي أي نتاج الفرد بأنه أدب شعبي؛ لأنه انتقل عن طريق الكتابة بالشكل الذي تركه مؤلفه ونادرًا ما يحدث فيه تغيير أو تحريف في النص الأدبي باستثناء وقوع بعض الأخطاء في النقل أو الطباعة وهذا ما قد نطلق عليه الأدب المدون ..

مما سبق قد نصل إلى مفهوم نحدد من خلاله سمات الأدب الشعبي المنقول إنه كل خلق إبداع جماعي وليس فرديًا رغم أن المحتوى الفكرى في الواقع قد يؤكد لنا بأن فردًا هو من قام بعملية التأليف والإبداع وقد سار في إنتاجه وفقًا للقواعد المتفق عليها ولكن الذي يحدث أن المجتمع يتولى نيابة عن المؤلف غير المعروف هذا الخلق الإبداعي سواء في حياته أو بعد موته، وينتقل عبر الرواية الشفهية ونظرًا لاختلاف ناقليه وقدراتهم على الحفظ والتذكر، كما أنتجه صاحبه الأصلي يمر بمراحل التغيير والإضافة والحذف أثناء عملية الانتقال، وقد يشمل هذا التغيير الأحداث وزمانها ومعانيها، رغم أن هناك بعض الإبداعات التي انتقلت عبر الأجيال ومازلت صالحة من الناحية الزمنية والموضوعية لمواكبة العصر مثل القصائد التي تتحدث عن الحكمة أو قول الأجداد أو القصائد الغزالية، لذلك نجد أن السمة التي يفتقدها الأدب الشعبي هي خاصية التدوين مما جعلنا نحرص على إعادة التوثيق

لكافة أعمالنا الأدبية الشعبية قبل أن تتغير جوهريًا لأن رواية واحدة لقصيدة شعبية معروفة ليست كافية، فنحن في حاجة لسماع أكثر من رواية لأي نص نجمعه حتى نستطيع أن نتفهم أسلوب الأداء وما ينطوي على علاقة الأداء بالمادة وطريقة أدائها، وذلك كله لأن الأدب الشعبي يمتلك خاصية الاستمرارية أي القابلية للإضافة والحذف والتعديل دائمًا.

قيم الصحراء

قد تجمع حياة البداوة الخشنة مع الطهارة الصحية والحيوية الجنسية الفائقة، وقد يمتاز البدوي بقيم الشجاعة، وحب الفخر، والكرم والضيافة والفروسية والبدوي في الصحراء يمتاز بصفة الولاء التام لكل ما يخص الذات وأن البدوي يعي القومية بالفطرة لديه بأنها طرد كل مغتصب لأرضه والذود عنها بشجاعة باسلة، قد يقدم حياته فداء لهذه الأرض وأن صفة الطهارة في أعماق البدوي مع صعوبة التكييف مع بيئة شديدة القسوة تجعل منه شخصا ناضجا وشيخا قبل الأوان، والبدوي حارب ورعى الحيوانات تبعا للتقاليد، وقسم الحياة مع زوجته تاركا لها التزود بالماء وإدارة البيت بما في ذلك تربية الأطفال والخيمة والممتلكات المنقولة الأخرى وإن كانت مشاركة المرأة عند البدوي خارج الخيمة مساهمتها الفعالة في الرحلات الدورية للقبيلة بحثا عن العشب والماء.

عرس الفرحة والجلامة

المجلم يعد عند الموالين الذي يربون الأغنام هي أيام حلوة ممزوجة بالأعمال الشاقة يقوم فيها بإزالة الصوف من على ظهور الأغنام وقد تكون بأعداد كبيرة تتجاوز المئات حيث يخصص أيام يقام فيها المجلم ويتعاون فيها أهل النجع أو الأصدقاء مع صاحب الأغنام لمساعدته على هذه المهمة الشاقة، فيقيمون عنده أيام " رغاطة "، وهي تعني عندهم التكاتف مع بعضهم البعض عن طريق التطوع، لا ينالون فيها أجرًا على عملهم سوى تقديم وجبات الطعام لهم وقد يذبحون العديد من الخرفان لإنجاز هذه المهمة ويوزعون العمل بينهم ففريق يقوم بعملية التصريع وهي إحضار الأغنام وإركاعها للأشخاص الذين يقومون بجز الصوف، ولصعوبة هذه الأيام ترفع فيها الكلفة بين الحاضرين فيحق لهم إطلاق غناوي العلم والشتاوات وقصائد الشعر على مسمع الجميع بحضور الآباء والأبناء معهم، حيث يتم التجاوز عما يقال فما يقال هذه الأيام قد لا يقال في غيرها من أيام السنة، حيث يعطي المجلم الجميع إجازة للتعبير عن عواطفهم المكبوتة طيلة العام والهدف من ذلك التخفيف من صعوبة إرهاق هذا العمل وقد يلجؤون إلى الرمز للتعبير عن عواطفهم، وعادة ما تظهر فيه الفتيات والنساء لتقديم الوجبات وأكواب الشاهي مع الاستمتاع لما يقال، فهو عيد للتعبير عن العواطف المكبوتة لديهم وعادة ما يشبهون الأشياء أو ما يريدون إيصاله للفتيات الموجودات بأقرب شيء موجود لديهم وهي الأغنام، وعادة ما يرمز الكبش في الموروثات الشعبية للرجل، وترمز العجمية أو النعجة أو الطوقة للفتاة أو المرأة.

ويقال إن الشاعر المرحوم هيبة العبار قد حضر إحدى المجلمات وكانت فيه امرأة جميلة أخذت في الظهور أمامهم بحجة أو بغير حجة كي

تلفت أنظار الموجودين إليها وكانت غاية في الجمال والتدلل، وبدا ملبسها متوافقا مع تقاطيع جسمها، وكانت البسمة مرسومة على وجهها المشرق حيوية وشبابًا انجذب نحوها الشاعر هيبة العبار وهزت عواطفها رجولته فأخذ يحاول ترجمة أحاسيسه وإعجابه نحوها بالتقرب منها حيث لفت انتباهه أحد الحاضرين بأن زوجها موجود أمامه ويعمل معه فتمعن الشاعر فوجد هيئة الرجل الزوج وملابسه لا تناسب مع زوجته التي تزهو برشاقتها وجمالها أمامهم فالحاجة عنده للتعبير عنه متوفرة ولكن المعلومات التي قيلت له عنها جعلت من الضرورة أن يلجأ للرمز بدل الإفصاح ولغموض المعنى بدل وضوحه أمام الجميع حيث نسج عملاً إبداعيًا يجمع حالة الاثنين معًا المرأة وزوجها فأطلق غناوة العلم التي تعبر عن حالة التناقض بين الرجل وزوجته، في حين جسد الحالة التي عليها المرأة فقال :

تروقـــــب تريـــــد الـــــدنو

الطوقـــــة ادعـــــديش كبـــــشها

فشبه لنا المرأة بالطوقة وهي النعجة التي ترغب في الاقتراب منهم، واستعمال كلمة ادعديش للدلالة على عدم تناسب الرجل لها، فهي امرأة مكتملة الأنوثة وتحتاج لرجل مكتمل الرجولة.

غناوة علم تقول :

نيـــــين ع الكـــــلاب رميـــــت

دقيـــــل ضـــــبع ياذيـــــب جايـــــك

في العادة تكون الكلاب في حالة اشتباك أو معركة فيما بينها ولكنها تترك بعضها وتتحد عندما تسمع أو ترى ذئبًا في الحومة أو المنطقة وبمجرد

طرده أو قتله قد تعود للعراك مع بعضها ولكن دخول الضبع ساحة المعركة تجعل الذئب يقترب يطلب الحماية من الكلاب فقد يكون هناك شـاب ينـوي الاختلاء بالفتاة، ولكن حينما يسمع أو يشاهد قدوم والدها أو أخيها وهو ما تم تشبيه بالضبع يجعله يسعى نحو الأمان حتى مع أعدائه.

صـــار فـــي العجـــامي فقـــد

صـــرت وايـــن ياســـيد الغلـــم

وهنا تشبيه أن إحدى النسوة ، أو مجموعة منهن ، قد تركت أماكنهـا إلى مناطق غير مرئية فأين أنت يا صاحب البيت انتبه وابحث عن الفتيـات وقم بإرجاعهن للبيت .

الرعـــي ربـــط فـــي اليـــد

العنـــز والعجـــامي بـــاعهن

وكلمة الرعي قد يقصد بها الأب قد قام بزواج بناته الفتيات، وهذا مـا تناولته الغنوة في أن كلمة العجامي وهي صفة للفتيات وقد ربط فـي اليـد العنزة يعني أنه تمسك بالزوجة في البيت.

وقد رد الشاعر الكبير عبدالكافي البرعصي غلى الرعـي إن عمليـة الربط وهي توثيق المرأة بجواره أو القرب منه قد تسلب منه رغم العمليـة التوثيقية إذا كانت هي لديها رغبة، وكانت فتاة لمعانقة شاب وقد تحدث عملية الجرح، والمعنى هنا رغم فطنة الراعي قد يحدث مالم يكن متوقعًا.

انكـــان قاســـمة للعنـــز حتـــى

حـــذا الرعـــي تنجـــرح

بيت الجلاس

وهو بيت كان يقام في أغلب انجوع البادية حينما تولد عندهم فتاة شاعرة حيث يحتفلون بها ويقيمون لها بيتًا يسمى " بيت الجلاس " ويقيمه أبو الفتاة فرحًا بميلاد شاعرة من أسرته في القبيلة تتغنى بأهلها وكرمهم، وتروي قصص بطولات أبنائها للقبائل الأخرى وتخلد إنجازات أهلها.

وهذا ما يؤكد أن المرأة كانت تحظى بتقدير واحترام من قبل أهل البادية، ويصبح هذا البيت مقصدًا لأهل العقول والشعراء وأصحاب صوب خليل. تستقبل فيه الفتاة ضيوفها وتحاورهم وتتبارى معهم في شتى جوانب الأدب الشعبي، وغالبًا ما تكون الفتاة هي الفائزة؛ لكونها تعرض على الضيف " الفارس " لغزًا أو غناوة علم، وإذا لم يجد حلاً تطلب منه رهينة أي شيء يتم رهنه عندها ، ويذهب ويعود بعد أيام أو شهور بالحل ويتسلم ما تم الرهان عليه، ويتم تعليق الرهينة في البيت أو وضعها في مكان بارز حتى يأتي صاحبها وقد تكون الرهينة "بندقية أو جردًا "، أو أي حاجة تسلب أمام الحاضرين من الفارس.

" رابحة " إحدى بنات بيت الجلاس

كانت هناك فتاة تدعي " رابحة " جمعت بين سماحة الوجه ورجاحة العقل، وكان الذكاء والفطنة وسرعة البديهة من سماتها أيضًا، وكانت تقاطيع جسمها تبدو في غاية الروعة حيث أضافت له ذوقًا رفيعًا في اختيار ملابسها.

فكانت رابحة بذلك تبهر العقول قبل العيون وهي بنت شيخ يعرف بمكانته وكرمه وفروسيته، لذلك كثر المتقدمون للزواج منها؛ ولكن والدها قد ترك حرية اختيار بعلها لها وقال: " هي حرة في تقرير مصيرها من يتغلب عليها تسلمه نفسها بطواعية لا يهمني إن كان ابن أحد الشيوخ أو أحد الرعيان، المهم أن يتصف بصفات الفروسية وأن ترضى عنه رابحة ".

انتشرت أخبار رابحة، وأصبحت مقصدًا مقصد لكافة الشباب، وحضيت قبيلتها بسهرات جميلة في بيت الجلاس كل أسبوع وكانت ابنتهم رابحة دائمًا هي الفائزة حتى سادت قناعه أنه لا يوجد لها نظير في ذاك العهد. وفي إحدى الليالي بينما تسرد رابحة بعض القصائد الشعرية على أهل نجعها توقفت فجأة عندما سمعت حركة خارج البيت وقيل لها " إن بالخارج فارسًا يريد محاورتك " . قالت لخادمتها : " دونك أنزلي الضيف من على فرسه وأكرمي الاثنين معًا "، تحركت الخادمة بسرعة واستقبلت الضيف وأمسكت الفرس بشدة وعجرفة، فتحرك الفارس بفرسه بعيدًا عنها لكونه أحس بأنها أهانت الفرس وقال غناوة العلم :

" يشقص ع الأقدار العقل يابل ع الجفاء "

ومعنى الغناوة :

أنه فارس يكرم من قبل الآخرين ويتردد رغم إكرامهم فهل يرضى على أناس يعاملون فرسه بالقسوة والشدة.

وبمجرد سماع رابحة للفتاة نهضت بسرعة وأمسكت الفرس بكل تودد وطلبت من الفارس الترجل وأمرت بإحضار " العلوق " وهو عشاء الفرس وعادة ما يكون قمحًا أو شعيرًا، ورحبت بالفارس وهي تقول : " مرحبه بضيف لجواد خلي راسك وكرعيك بره وتفضل خش "، فهم الفارس المقصود من كلامها فقام على الفور بخلع طاقيته وحذائه ودخل إلى البيت حيث وجد مكانه في الصدارة وبعد تقديم واجب الضيافة كان الفارس متوقعًا أن تحاوره شعريًا أو تلجأ إلى الألغاز لفتح الحوار معه ولكن كانت لغة العيون هي السائدة، بينما عرفت رابحة منه أنه متمكن من صوب خليل فعليها أن تلجأ للحيلة معه، وتكون لغة العيون هي ميدان التباري معه، فأوعزت للخادمة فقامت على الفور بوضع ثلاثة أنواع من القماش أمام الفارس.

قالت رابحة للفارس : " هل أنت جاهز "؟ فلم يرد عليها وكأنه يتعرف على معنى التحدي في السؤال ، ولكنه أوحى إليها بالإشارة بأنه مستعد للمباراة معها. وكان يلاحظ ثقة أهل النجع في قدرات ابنتهم مرسومة في عيون الحاضرين.

لم تمر سوى دقائق معدودة حتى كادت الخادمة تحمل قلب الشاة وأرجلها ووضعتهما على إحدى قطع القماش ثم دخلت امرأة أخرى تحمل عيون الشاة و" الدوارة " ، معدة الشاة ، ووضعتها على القطعة الثانية، ثم دخلت المرأة الثالثة تحمل رأس الشاة والجلد ووضعتهما أيضًا على القطعة المتبقية. بدأت الأشياء أمامه غير مفهومة، أخذته الحيرة في دوائر متعددة لإيجاد التفاسير للعلاقة بين الأشياء التي وضعت أمامه، ولكنه مدرك أنه أمام

امتحان عسير في أحد أنواع الأحاجي في الأدب الشعبي وغالبًا ما يكون مفتاح واحد يفك شفرة هذه الأشياء التي أمامه.

طأطأ رأسه في الأرض وأخذ يفكر في الخروج من هذا المأزق لإيجاد الحل أو تأخذ منه رهينة ويخرج من هذه المعركة خاسرًا للمرة الأولى وتعلق أحد أشيائه في جدار البيت ويضحك الجميع منه بعد انهزامه في هذا البيت ويعلن أمام الجميع استسلامه أمام رابحة. أخيرًا أدرك ببصيرته الحل لهذه الأشياء التي أمامه وارتسمت على وجهه ابتسامة مفادها وصوله للحل وسيخرج فائزًا بإذن الله، جعل عينيه تجوبان المكان المسيطر عليه الصمت واستغربت رابحة من هذه الابتسامة رغم وقوعه في هذا المأزق ثم اتجه بعينيه صوب رابحة التي كانت عيناها متناقضتين، من ناحية تنوي إلحاق الهزيمة به، ومن ناحية أخرى تنتظر لحظة الفوز عليه كغيره من الفرسان، وإن كان الإعجاب قد بدأ يتسرب إلى قلبها نحوه، ولكن العقل عندها هو المسيطر على زمام الأمر، ولكنها قطعت أرتال الصمت على المكان وهي تقول : " تفضل ياضيف الجواد صوبك أوحلت في الحل " ! قال لها بصوت منخفض : " من قال هكي مع إنك تعرفي لكل سؤال جواب ؟ " ردت عليه الفتاة : " بسرعة هيت اللي عندك "، فابتسم الفارس وتمعن الجميع وأوقف عينيه على الخادمة التي كانت عيناها تشعان بالحقد والكراهية له لما بدر منه أمام البيت فيما يخص فرسه وقال لرابحة : " العلاقة بين قلب الشاه وأرجلها قول المثل الشعبي " :

" ما تمشي الرجل إلا واين يستحب الخاطر "

والعلاقة الثانية بين العيون والمعدة هي القول الشعبي :

" أطعم البطينة تستحي لعوينة "

أما العلاقة بين الرأس والجلد هي قول المثل الشعبي :

" قطع الراس ييبسن لعروق "

قالت له : " الامتحان الثاني عندي ثلاث غناوي علـم علـى طريـق الصوب كلهن أريدهن في غناوة واحدة تجمع معاني الأغاني الثلاثـة تقـول الغناوي :

عندي ثلاث اعقول على طريق الصوب كلهن

واحد تبيع اقدار إن جن ايمحي وغن غابن صمل

واحد رفيق أجواد يعطي الصوب ويقم العنا

واحد قليل آداب إن عبت فيه كفاك بالخطا

فكر الفارس قليلاً وعاود الابتسامة مرة أخرى وهو يقول لها : الغناوة اللي تجمع الثلاثة يا رابحة تقول :

" وكما تريد العين تدعا لك على قيس موالك اللي في بالك ".

لحظتها وقفت رابحة وهي تقول : " اشهدوا ياهل النجع اللي قدامي إن كان موش صاحب صوب خليل يكون خوه "، وجلست ونهض الفارس وهو يقول : " واين بوالبنت رابحة " ويرد أحد الجالسين : " إنعم اطلب ما تريـد يحقق لك في هالساعة ". قال له الفارس : " ونعم ما ربيت وأنا فـلان ولـد الشيخ فلان. لنا ردة رسيمة لطلب إيد رابحة منك ". قال الأب :

"نحن على الرحب والسعة يا ولد لجواد بوك معروف وأنت عرفناك".

الشاعرة مريم الحجلا

وهي من عائلة بوجازية قبيلة العبيدات، موطنها منطقة مرتوبة، متمكنة من الشعر الشعبي وإن كان معظم شعرها قد ضاع من صدور الرواة، ويبدو أن لقب الحجلا كانت تشتهر به ولا يطلق على أسرتها؛ لأنه لا توجد عائلة تحمل هذا الاسم حاليا. ومن خلال ردها على الشاعر الكبير " سالم البنكة " وهو ابن عمها من قبيلة العبيدات عائلة غيث، حيث تحمل أثناء حركة الجهاد مهمة أمين مالي في دور المجاهد أحمد الشريف.

يقول الشاعر سالم البنكة :

طالب الشرع معاك خذيت خاطري جور ياعلم

طالب الدهماني أسباب جروحتي وبياني

الحق وين ياطا بوقرون مثاني لاناخذو فيه إبل

وقد ردت عليه الشاعرة " مريم الحجلا " ردًا يدل على تمكنها من قوافي الشعر الشعبي وإبداعها في طرح الرد على نفس قوة المعاني المطروحة عند الشاعر " سالم البنكة " حيث ترد الشاعرة :

الشرع يرضى وأنت تمضي من قبل نمضي

نحمل راني غير نازل شظي

غلاك جرح كاسر عظم إن كان تحسابه جا فالحم

وين هالي قالوا لي فيش تجظي

جحدت يا عزيز غلاك عليك خفت ما وريتك لهم

الطوارق والصحراء

كلمة الصحراء في اللغة العربية تفيد معنى الخلاء، فهي مساحات واسعة ومنعزلة حيث ارتفاع درجة الحرارة وحيث الأمان الشخصي إذ لا يستطيع المقيم في الصحراء أن يتجاهل غيره لذلك يتحالف معه ضد بيئة شديدة القسوة بحيث يكون هذا التحالف بأواصر علاقة الدم أو تؤكده مواثيق متفق عليها وإغفال الأسماء مستحيل في البيئة الصحراوية رغم كبر هذه المساحات الشاسعة ، كانوا لابد أن يعرفوا الآخرين شخصيًا، عكس العلاقة في المدينة، والصحراء تؤكد في نفوسهم كل ما يخص الذات في قيم الكرم وحب الفخر والشجاعة والجلد والتواضع والحلم وإغاثة الملهوف، والتائهة في جوف الصحراء والطوارق هم فرسان هذه البيئة وهم من الوجوه المشرفة لبلادنا؛ فالرجال هم الذين يرتدون النقاب لا النساء، وملابسهم رائعة المنظر عالية الجودة قد يصبغونها بمواد تصنع محليًا، وفي العادة لديهم صفة ثابتة مهما عاشرتهم لا ترى وجوههم فهم دائمًا يخفونها حتى أثناء الطعام والشراب، وهي عادة أقصد النقاب، ممعنة في القدم ولا يعرفون سببها، ولكنهم قد يقولون لك حينما تسألهم: الطوارق أرادوا حماية وجوههم من وهج حرارة الشمس الحارقة وهم محاربون مهرة ويملكون نشاطًا وحيوية وسرعة حركة لهم وسامة ساحرة ينحدرون من سلالات بربرية قديمة ويعرفون بأنهم محاربون أشداء لا يعرفون الجريمة وهم يتجولون من مرعى إلى مرعى، وللمياه قيمة كبيرة لأنها غير متوفرة بكثرة، يصنعون أدواتهم وأغلبها من المصنوعات الجلدية وهي غاية في الروعة والجمال والجودة والمتانة، النساء تبدو للزائر وكأنها طيور مذعورة وإن كان بها حب الفضول وتكسوها مسحة من الخجل والجاذبية ، ولها عناية في اهتمامها بالضيوف حيث يقدمون حليب

الإبل أو الشاي الذي يعد بطريقة تبدو لذيذة المذاق، تصادفك الهياكل من الحيوانات التي هلكت من جراء الطريق والحرارة، وقد تجد بعض النباتات الصحراوية وقد تنعدم بالكامل، وعلاقتهم بالجمال علاقة تسودها المحبة، ولتوافق مع هذه البيئة وكثيرًا ما يقولون لك أسمائهم، سرعة الجمل يحددونها بحوالي 20 ميلاً في اليوم، والجمل يعرفون أنه يتحمل عدة شهور بدون ماء إذا كانت هناك وفرة في المراعي، ولكن بالعمل المتواصل قد يتحمل بدون ماء من أسبوع إلى أسبوعين، ويؤكدون لك أن الجمال له ميزة سيئة واحدة أنها إذا مرضت لا يبدو عليها أعراض المرض أو علاماته، فقد تموت دون مقدمات، وهناك الكثير من الجوانب الفنية والاجتماعية تحتاج إلى البحث عنها في حياة الطوارق.

البطحــة

مدينة درنة كانت تعني لشاعر الوطن " أحمد رفيق المهدوي " الكثيـــر من القيم الفنية والجمالية، فقد كانت له صولات وجولات مع أدبائها وعلمائها استوحى منها الكثير في روائع شعره، لذلك كان كثير الزيارات لهذه المدينة كثرة أصدقائه فيها، وفي إحدى جلساته مع صــديقه الــشاعر " عبــدالكريم جبريل " وقد اتخذا من منطقة البطحة المطلة على أجمل المناظر الخلابة في وادي درنة، جلسة يخيم عليها الإبداع، وترسم الطبيعة أحلى مناظرها أمامهم، وتعزف الطيور أحلى أغانيها لهم، حيث خرير المياه وعذوبة الشلال تحــيط بهما. وإذ بأحد سكان وادي درنة تقوده قدماه في تلك اللحظات صوبهما، لــم يكن يعرف شاعر الوطن ولكنه يعرف عز المعرفــة الــشاعر "عبــدالكريم جبريل " الذي كعادته أحسن استقباله وقدم له واجب الضيافة أثناء إصغائه لما يدور بينهما حول أجواء الشعر وعواطفه النبيلة ولم يمض الــضيف معهمــا زهاء ساعتين حتى انهمرت الدموع من عينيه عندما تذكر محبوبتــه وأخــذ يسرد لهما بداية علاقته وأحلى جوانبها العاطفية، ولكن ابــن عمهــا تــدخل وخطفها منه. ارتسمت علامات التأثر على شاعر الوطن ودار جدال بينهمــا في الشعر قال فيه :

حيــــزًا العزيـــــز هكــــذا شــــاءت الأقـــــدار

فاسكبي ياعيني ما شئت من دمعــك المـــدار

لحظتها تفرس الضيف في وجه شاعر الوطن وعرف أنه المقصود بما يقول ولكنه لم يفهم فحوى ما قيل، والتزم الصمت ولكنه انطلق فجــأة وهــو يوجه كلامه للشاعر عبدالكريم جبريل : صباحك ايش ايقول ما نشى عارف.

ضحك الاثنان مما قاله الضيف وسايرهم هو أيضًا بالضحكات ولكنه أرد أن ينقل الحديث إلى موضع الجدية فقال : انقل لي ما قاله صديقك يا عبدالكريم ساعتها بدأت علامات الجدية واضحة على وجه عبدالكريم جبريل لأنه أوقعه في شرك لم يكن في الحسبان، كيف ينقل ما قاله رفيق إلى غنوة علم وهو يعلم أن رفيق يجيد القول في الشعر العربي الفصيح والشعر العامي وعليه أن يترجم ما قاله رفيق إلى غنوة علم على أن تكون الترجمة فورية ينتظرها الضيف بفارغ الصبر. بدأت الابتسامة تغمر وجه شاعر الوطن هو يتفرس الاثنين معًا، في الوقت الذي أخذ فيه عبدالكريم جبريل يعد العدة للرد على مقاله، وكأنه وجد نفسه فجأة تلميذًا في محراب الشعر عليه أن يجتاز الامتحان أمام الاثنين، أخذ يسترجع ما قاله كتاب صوب خليل في لحظات، على أن ينحو به منحىً يجسد الموقف كما إراده الاثنان حيث أحدث تقديمًا وتأخيرًا في مضامين عبارات شاعر الوطن لما تقتضيه موازين القافية شريطة المحافظة على الصورة الإبداعية وتكون وليدة لحظتها، فقال وهو ينظر إلى شاعر الوطن : إنه أراد أن يقول لك غنوة العلم اللي تقول :

عزيز حيز يالنظار بكن عليه ياطول ياسكن

حينها وقف يهنئ الضيف وعانق شاعر الوطن واحتضن الشاعر "عبدالكريم جبريل الذي انتابته السعادة بخروجه من الموقف في حين غادر الضيف المكان.

المزمار

كثيرًا ما نسمع عزف المزمار في الأودية والسهول، حيث يرسل الرعاة أنغامهم وراء الأغنام السارحة والإبل الغادية، ويعد المزمار ذا أهمية لدى الفنانين الشعبيين؛ فهو يوفر لهم أطيب الألحان التي يعزفونها في المناسبات والأفراح حتى أضحى آلة رئيسية في الفرق الشعبية، وهو يصنع من قصب الغاب، ويتكون من أسطوانتين من القصب مضمومتين معًا بحيث يكونان متساويتي الطول، ويوضع في كل من الأسطوانتين أنبوبتان يقال لهما الركائز، ويوضع في كل منهما بالوص وهما من مادة القصب يضعهما العازف في فمه ويطبق عليهما الشفتين وينفخ فيهما فيحدث الصوت .. والأسطوانتان المصنوعتان من القصب فيهما خمسة ثقوب يضع العازف عليهما أصابعه لتغيير النغمات بحيث يعطي كل ثقب فيهما نغمة موسيقية من نغمات السلم الموسيقي، وفي حالة إقفال جميع الفتحات يعطي مقام الرصد، وفي الحالات الأخرى يعطي مقام بياتي أو صبا، وبهذا يستطيع العازف أن يعزف بمزماره ما يوافق أداء اللحن في القطعة الموسيقية أو ما يتفق مع المطرب أثناء انتقاله بين المقامات، ويعتبر المزمار جامعًا بين آلات النفخ والآلات الوترية، ففي الأولى يحتاج العازف لتنظيم حركة النفخ بما يوازي حركة الأصابع، يعتبر من الآلات الوترية لكون المزمار يحتاج إلى تعديل الخيوط التي فوق البالوص بين اللحن والآخر أو بين الفقرات، ولابد للمزمار أثناء التعديل أن تحدث عملية " التبوشير " وتعني رفع ريشة البالوص بمستوى معين لكي يحدث توافق بين النغمتين الخارجتين من البالوصين معًا، وإن لم يحدث ذلك يطلق البالوصان نغمتين مختلفتين مما يجعل اللحن نشازًا، والمزمار من الآلات الموسيقية التي تجانست مع آلات الأكورديون والعود

والأورج، ويصنع المزمار أيضًا من مادتي النحاس والحديد، بحيث يصبح في هذه الحالة اللحن البدوي الأصيل، ويكون طول القصبتين أطول منهما عند أهل المدن.

ويعد المزمار في بلادنا لونًا من ألوان الفن الشعبي حيث اكتسب أصالته من صدق العاطفة وعراقة الفطرة.

وحيث يكون الفن تكون الحرارة في النفس والانطلاق في الروح والرهافة في الحس.

جمعت بيننا أخبار بنغازي

في محراب التراث

كانت مجموعة من الشعراء تتجاذب أطراف الحديث وتخيم على جلساتها موضوعات الشعر الشعبي وإذا بأحدهم يقول للآخر :

ما رأيك في ذلك القادم إلينا؟ فقال الآخر: بل قل في تلك .. إذ إنها فتاة .. وهي أيضا تبدو مليحة، على الرغم من أنني أكره التشبه بملابس الرجال، فقال له صديقه : أنت مخطئ فهذا شاب وليس فتاة، فقال له الشاعر: قد اختلف معك لأنني أتمتع بنعمة النظر عن بعد، فقال صديقه : هل تقبل الرهان على ذلك؟ قال الشاعر : قد قبلت، والخاسر يقوم بعمل الشاي، انتبه الحاضرون للاتفاق وقام أحدهم باستدعاء الشاب، الذي حضر بشحمه ولحمه ووقف أمام الشاعر الذي أصابته الدهشة، ولكنه بعد أن تملك زمام نفسه من المفاجأة ارتجل هذا البيت وهو يتهيأ لعمل الشاي :

مراهن ونحلف نحسبك قبل أنثى

أخسرت الرهان وما نلت غير الحنثى

وطاف البيت على الشعراء للإضافة عليه دون جدوى لكونه من الموضوعات الصعبة في التناول؛ لأن الموضوع يتعلق بالظواهر المعاصرة في مجتمعنا من ناحية ولصعوبة القافية من ناحية أخرى ولكن هناك دائمًا من يمتلك قدرة التكيف مع أغلب الموضوعات ومعايشتها والإحساس بها، ثم الانطلاق لاستكمال البناء الشعري للموضوع فنجد الشاعر الكبير (عبدالسلام

الفاخري) الشهير باسم بوجلاوي يكمل لنا بناء الصورة وكأنه صاحب الفكرة حيث يقول :

وفي تخنيثك طويل طالقه

فوق الكتوف غثيثك

أتجيب م الوليه لا دويت حديثك

لانك ولد لا بنت طالع خنثه

وبعد نزول الموضوع في صحيفة أخبار بنغازي بعدة شهور كنت ضيفًا على شخص عزيز وهو المهندس (علي الفاخري) بمناسبة قدوم أول مولود له وقد احتفل بهذه المناسبة بإقامة وليمة كعادة أهل الكرم ابتهاجًا بهبة الله لأسرته الكريمة، وقد حضر لديَّ ضيوف مما جعلني أتأخر عن الحضور ليلاً لوجبة العشاء ولكني وجدت صديقي في انتظاري وقد أكمل الجميع حفلة العشاء .. وكان من دواعي سروري أن صديقي انتظري لنتناول العشاء معًا مما أدخل على قلبي السعادة وبعد العشاء قررت الرحيل .. إلا أن المضيف أبي إلا أن يزيد في إبهاجي إذ قال لي : عندي صديق وابن عم يريد رؤيتك فقلت : على الرحب والسعة وإذ به هو الشاعر الكبير (عبدالسلام الفاخري) وكان يحيط به عشرات من الرجال يتسامرون معه، من خلال إلقائه لأشعاره العذبة ذات الموضوعات المتنوعة والجذابة في الطرح ولكنه أوقف مواصلة أشعاره وخاطبني قائلاً : تعرف يا أستاذ أن طرحك للموضوع كان أجمل من حقيقة كتابته .. لم أعرف ما يقصده الشاعر فابتسمت بتعجب مستفهما .. وسرعان ما بدد شكوكي حين قال : أريد إعلامك أولا أن راس البيت والقصيدة جميعها من أشعاري، ولكن ليس هذا هو المهم .. إن تناولك للأقصوصة في البداية هو ما أقصد .. إن حقيقة

الفكرة أنني كنت مع زميلي في مركبة نجوب بها شوارع المدينة في شارع جمال عبدالناصر حيث شاهدت شابًا لم أتبين لأول وهلة هل هو شـــاب أم شابة فاستحضرت قريحتي هذا المضمون للتعبير عن تلك الواقعة .. ولكن أنت ألبست الفكرة ثوبًا بدا لي أجمل ..

ساعتها أدركت أن هذا الشاعر الكبير أراد بشكل أو بآخر أن يشكرني بتواضعه المعهود لأني تناولت الموضوع كتابـــة .. وهـــذا يـــدل علـــى أن المبدعين الكبار لا يتوانون عن الإشادة بكتابات زملائهم، فحمدت الله على أن بلادنا فيها مثل هذا التواصل والتواد والصفاء، وخاصة بين أهـــل الإبـــداع شعره ونثره.

غرام الدنيـا

كانت تربطهم أواصر الصداقة والمحبة وكانوا ينهلون مـن حـوض الشعر الشعبي، وكان الاثنان محط الإعجاب أينما حطا رحالها معًا، ولكـن الحياة دارت رحاها عليهم، معًا وأبعدت بينهما الأيام والمـرض وأصـبحت القصائد هي جسر التلاقي، حيث بعث الشاعر المرحوم " صـالح بومـازق الرفادي " إلى صديقه الشاعر المرحوم " أمبارك القطعاني " يشكو الحالة التي أصبح عليها لعله يجد ما يبحث عنه في قلب صديقه من خلال ذكرياتهم معًا حيث قال :

اليوم يا مبارك راقدات عظامي

وقاصر على مد الخطا قدامي

ايش حال عيونك ويا طول

ما ولعت الناس بلونك

ونلقاني ناظر شرار سنونك

وهدب فيك مرزي به عيون الدامي

وما من شباب لوتيها بفنونك

اتصدع على غيرك عليك تمامي

استقبل صديقه " أمبارك القطعاني " رسالة " صالح بومازق " وتأثر بما ورد فيها وحاول أن يدخل البهجة والسرور على صديقه حين يذكره بالعلاقة الحلوة والجميلة في هذه الدنيا ويذكره بأنه كان مغرمًا، بهـا، وهـي كانـت كريمة معه أفضل من غيره، فرد عليه قائلاً :

ايش حال عظامك وما كنت

تستاهل كبير مقامك

يطول ما تمنى اسماح ايامك

ويا من تكامن بك بنات اسامي

اتعز الصغار ويفرحوا بكلامك

وكي انلومك حالاً ترد ملامي

ولا اتعبت الدنيا خذيت غرامك

وفيها زهيت أيام كيف ايامي

الــرحــا

وهي حجران مستديران تطحن بينهما الحبوب بتدوير الأعلى على الأسفل حول عود مثبت في الوسط يسمى (قلب الرحا).

أما الجزء الأعلى فقد نحت في وسطه دائرة نُصب فيها عودان بحيث تسمح الفجوات الأخرى بدخول حبوب القمح والشعير ويسمى هذان العودان "الفراشة "، أما الجزء العلوي في الرحا فهو متحرك يدور حول نفسه فيه عصا قوية تقبض عليها المرأة لتساعدها في حركة الدوران ويسمى " الشظ "، وكلمة الشظ لم أجد استعمالاً لها سوى في الرحا أو عند مربي الإبل حيث يطلقون على قطعة الخشب التي تربط بين الغرارتين وهما الحمل الذي يوضع على ظهر الجمل. وصناعة الرحا كانت صناعة رائجة في الماضي ، أما الآن فقد اندثرت مع كثير من الصناعات التي كان الليبيون يعتمدون عليها في معيشتهم اليومية لأن التطور جعل الدقيق يأتي للمرأة جاهزًا فما عليها سوى القيام بعملية الطهي، ومع اندثار الرحا اندثرت أشياء جميلة كانت تسود مجتمعنا مثل الرحا، ولكن الاندثار لم يكن لهذه الآلة فقط بل اندثر معها تراث، فالأجيال الجديدة لم تساهم في إحياء هذا التراث بالإضافة والتجديد في غياب الرحا بل أصبحنا نكتفي بترديد ما قاله الأجداد في آداب الرحا وحينما أقول آداب أعني أن الرحا كانت مصدر إيحاء لكثير من النسوة للتعبير عما يجيش في خواطرهن.

الرحا والشعر النسائي لدى المرأة الليبية

اعتاد من يريد قول الشعر أن تهدأ نفسه ويأخذ قسطاً من الراحة عبر الانطلاق في رحلته الشعرية بحيث يعد نفسه لذلك غير أن المرأة الليبية تخلق توازناً بين أداء العمل من ناحية وقول الشعر من ناحية أخرى، فهي تعبر عن طموحاتها وأفراحها وأحزانها وهي تقوم بمهمة ثقيلة تهد البدن وهي عملية طحن الحبوب بالإضافة إلى الرتابة المعتادة من هذا العمل نفسه وبوضعية لا تساعدها على الراحة من جراء تحريك حجر ثقيل، وقد تكون بمفردها أو تعاونها امرأة أخرى حيث تستمر هذه العملية في إيقاع بطئ يدور حول نفسه وتغزو مسامعها نغمة واحدة يأخذ إيقاع الصوت الأجش من جراء تلاقي الحبوب بين شقي الرحى كل ذلك يدفع بالمرآة الليبية أن تنحو منحى يساعدها على التغلب على هذا الجو حيث تأخذ في إطلاق أغاني تبدو متجانسة مع صوت دوران الرحى وكثيرًا ما تكون هذه الأغاني تحمل في طياتها الشكوى أو التأكيد على عمق الروابط الأسرية حيث نجد غناوة العلم تقول القلب هو رسيوم الرحى بلاه ما يسير طحين.

فإن كان القلب يعني استمرارية الإنسان فقلب الرحى يعني استمرارية الحياة عند الليبيين ، فإن توقف القلب في الاثنين يعني توقف الحياة.

حيث نجد الفتاة تتغنى بالفخر والاعتزاز بالأخ الغائب والذي سيعود للسؤال عنها والوقوف بجانبها والذود عنه.

حيث تقول :

ايـــن نهـــار مبـــروك وايـــن ليلـــه ســـعيده

يجبنـــــي خويـــا ونلاقيـــــه وايـــدي تـــسلم علـــى ايـــده

وقد تختلف العاطفة الجياشة تجاه الأخ بعد الـزواج وتأخـذ معـاني الشكوى والمناجاة إذا ما استحوذت عليه زوجته فلم يعد يضع الأمـور فـي نصابها الصحيح أو ينجذب مع مواقف زوجته تجاه إخوانه فإن كان الصوت والحركة الصادرة عن الرحا لا تتغير فإن النسوة عادة ما يغيـرن فحـوى الأغاني لتناسب الوضع الجديد، فقد تحتل الأخت مكانة أمهـا التـي يهمهـا المحافظة على علاقة أبنائها كما كانت فنجده تقول :

يا خوي كنك أو خي انت الـراي وانـا الـدباره

وكنك خي النساوين راهـو غلايـا خـساره

وقد تصل أن تبدو المخاطبة وجها لوجه مع الرحا وكأنهـا تخاطـب شخصًا معها أو تناجيه فتذكر الحبيب الذي تأخر عن موعد حضوره ممـا أصبح شغلها الشاغل حيث تبدو حركة دوران الرحا وكانها تذكرها بعجلـة الأيام حينما كان الحبيبان معًا فتختلط الأمور لديها كما تختلط دموعها مـع حبات القمح فتتحول إلى عجينة وكان النار التي في داخلها كافيـة لإتمـام عملية الطهو.

نـــــا يارحــــا ويـــــن نطريــــــك

يخطـــــــر الغايـــــــب علينـــــــا

ينهـــــــال الـــــــدمع ويجيبـــــــك

يبقـــــى دقيقــــك عجينـــــه

كذلك نجد الفتاة تفتخر بأهلها بأنهم فرسان شجعان لا يهابون المخاطر، ودائما يقفون لنصرة الحق، كذلك تؤكد لنا السرعة بمجرد سماع النبـأ فـي

امتطاء الخيول، وأسلحتهم دائمًا جاهزة لرد الضيم وأنهم أبطال لا يخشون الموت صغارهم قبل كبارهم.

نـــاهلي ركابـــة الخيـــل عـــز المـــرا والغديـــدة
أن صار المعيط مع الليل جو حــصر فــوق

مـــا يهبـــوه كيـــف الولـــد وكيـــف ســيده
بزناد مدهون بالزيت جوهر وعمله جديــده

كذلك نجد من ضمن أغاني الرحا والاعتزاز بدور الأم فــي البيــت، وهي التي تفضي إليها ما يجول في خواطرها وهي الصدر الحنون، كذلك لا تنسى أختها التي تفرح لفرحها وتحزن لكدرها فنجدها تقول :

لا لأم كيفهـــــــــــــــا حـــــــــــــــد
ولا لخـــــــت كيـــــــف الدمايـــــــة

تمـــــــــرض لا طـــــــال مـــــــرض
وتبـــــــــــرى لازال دايـــــــــــا

وفي نهاية فقرة آداب الرحا لا يسعنا إلا أن نورد شكوى المرأة الليبية في هذا الحمل وهي الرحا رغم أنها تقوم به في عزة نفس، ولا تنسى الثنــاء على بعلها في نفس الوقت والبيت الذي تخيم عليه هذه العلاقة لابد أن تخرج رجالاً لا يشق لهم غبار ونساء أمهات صالحات.

حيث نجده تقول :

نـــــشهد فيـــــك انـــــك ثقيلـــــة
وانـــــك هـــــديتي الكتـــــوف

وان صـــــا حبتـــــــك عـــــصرانه

وان ســــيدك ضـــــي الحـــوف

فرغتــــــي حتــــــى المراكـــــب

ثنيتــــــي حتــــى الكتــــوف

شــــــايلات حمـــــــل ثقيـــــل

ياتـــــا كتـــــوفي م الرحـــــا

أمسية متنوعة
في قهوة أبو شوشة

قهوة الحاج إبراهيم أبو شوشة بالمدينة القديمة بدرنة تحتضن كل ليلة خميس أمسية أدبية أو تراثية فنية أو تشكيلية ينتابك الإحساس بأنك تعيش أصالة هذه المدينة فالقهوة قد صممت منذ زمن قديم على أشكال معمارية تتجسد فيها بساطة المعمار وذوق رفيع في التصميم حيث فرشت القهوة بكل ما هو تراثي فالطاولات والكراسي قد صنعت من سعف النخيل ووضعت جرة ماء أنيقة تبدو للناظر كأنها باقة ورد وبداخلها ماء عذب تم مزجه بالزهر المقطر محليًا بالمدينة وسط هذه الحالة الحالمة بأجواء التراث يطوفون حولك حاملين البخور فتزداد انبهارًا ويقدمون لك الشاي المخلوط بالأعشاب الطيبة التي تجعل مذاقه غاية في الروعة أكواب صغيرة رشقت أعواد النعناع الأخضر في قلبها وأنت تعيش الجو التراثي. بكل هدوء يعلن الفنان التشكيلي وخبير السياحة في درنة الفنان " محمد فتح الله سويسي " عن انطلاق رحلة الأمسية فيعرف الحاضرين برواد الأمسية موضحًا إبداعاتهم في مجالاتهم المختلفة كأنه ينثر عليهم عناقيد الياسمين الدرناوي ولحسن حظنا كان الفنان الكبير " أحمد كامل " أحد ضيوف هذه الأمسية وهو أحد المبدعين أداة ولحنًا وله أعماله المشهورة في قلوب متتبعية فاستهل الأمسية حيث تناول بداية الحركة الموسيقية في بلادنا وتحدث عن الرواد أمثال " علي الشعالية " و " السيد بومدين " وغيرهم من المحدثين وكان في حديثه كأنه يداعب ريشة عوده ليطرب السامعين كما تناول كتاب الأغنية إبداعاتهم وختم حديثه بالمواقف الطريفة التي تعرض لها في مسيرته الفنية .

بعدها انتقل رواد الأمسية إلى واحة الشعر حيث قدم الشاعر المبـدع " فرج الشلوي " باقة متنوعة من أشعار القدماء والمحدثين ثم عرج على إنتاجه الشعري فأتحف الحاضرين بعذوبة أشعاره وقدرته الإلقائية، ثـم جـاء دور التراث فقدم الفنان " محمدا سويسي " مدخلاً رائعًا في حديثه عـن التـراث بصفة عامة وعن قيمته الإبداعية ودلالته الثقافية وأمتع الحاضرين بـبعض قصائد الرواد الشعبية وأعلن بعد ذلك بهدوء عن نهاية الأمسية التي استغرقت ساعتين لم يحس أحد بالضجر والانفعال ولم يفارق وجوه الحاضرين ذلـك الارتياح والإمتاع وهمس رجل بجواري قائلاً : " من روعـة مـا سـمعت اعتقدت أنها البداية ".

لقاء المئة وتسعة أعوام

جمعتني الفرصة مع الشاعر الكبير " عبدالسلام بوجلاوي " في أجواء التراث الشعبي والشعر الشعبي حيث فاجأني بقدومه إلى بيتي حيث أدخل السعادة والفرحة على نفسي بقدومه، وكم كان حديثه ذا شجون ذلك هو الشاعر الكبير " عبدالسلام بوجلاوي "، فكان حديثنا مفعمًا بأجواء التراث والشعر الشعبي بعدها طلب مني إجراء لقاء مع الشاعر الكبير " خليفة صالح العبدلي " في منطقة أسقفه وهي تقع بعد مدينة الأبيار وزاد في تشويقي أن هذه الشخصية جاوزت المئة وتسع سنوات ومازالت تتقد حيوية ونشاطًا مع ذاكرة تحمل الكثير من إرث الأجداد.

ولم يمر سوى يومين حتى وجدت نفسي قد امتطيت مركبتي متجهًا صوب مدينة أسقفه وكان برافقتي صديق وابن عم عزيز يهتم بالشعر الشعبي ويحفظ الكثير منه وهو الشيخ " محمد طرشون " أحد مشايخ قبيلة البراهمي. حيث قاربت الساعة على الرابعة مساءً ونحن على مشارف منطقة أسقفه وفي ذهني تتزاحم العديد من الأسئلة والاستفسارات عن الأدب الشعبي وعالمه السحري وحينما وصلنا المنطقة وسألنا عما نحن ذاهبون إليه قيل لنا إنه يقطن المساكن الشعبية بمدينة الأبيار. وعند تمام الساعة الخامسة والنصف من مساء ذاك اليوم وقفت مركبتي أمام أحد المساكن الشعبية حيث فوجئت بأن هناك شيخين يجلسان أمام البيت كان لدي شعور بأن الشخص المرغوب اللقاء معه هو ذاك الجالس على اليمين حيث صافحته وصديقه وبادرته قائلاً كيف حالك يا شيخ خليفة، خيم على المكان لحظات من الصمت تمعن فيهما ضيفنا في وجوهنا معًا ثم بادر: " مرحبا مرحبا تفضلوا نقعدوا هنا ولا تخشوا

جوى " .. كانت إجابتي جاهزة ومعده سلفًا: " لو سمحت لنا يا شيخنا الجلسة اطول بنا ونرغب في الجلوس معك " لم يتمهل طويلاً كعادة أهل الكرم حيث سرت في جسمه حركة جعلته يقف أمامنا وكانه صبي ودخلنا إلى غرفة الاستقبال. التي كانت فسيحة لاستقبال زواره وما إن جلسنا حتى قدم لنا واجب الضيافة.

حاولت أن أجد بداية للحديث معه فقلت له : صديقك " عبدالسلام بوجلاوي " يسلم عليك ارتسمت على وجهه ابتسامة وهو يقول : " كيف حاله" " قلت له الحمد لله بخير ولكنه يستعد للرحيل للعلاج إلى تونس " أطرق صوب الأرض وهو يقول " إنشاء الله ايجي طيب " .. ثم تنهد وهو يقول : " والله كبرنا "، قلت له : " الحمد لله مازلت شابًا والدليل نشاطك وحيوتك " قاطعني قائلاً " هل تعلم بأنني عشت ثلاثة قرون " ابتسم الشيخ محمد طرشون وهو يقول " كيف يا شيخ " بدأت الجدية على ملامح وجهه وهو يقول : " ولدت عام 1898م يعني أخذت عامين في القرن الثامن عشر وأخذت القرن التاسع عشر وها أنا أنتزع العام ستة من القرن الحادي والعشرين، بدأت علي علامات الاستغراب والفرحة وبادرته قائلاً : " إيه هكي العمر ولا بلاش " قال لي الشيخ خليفة : " امسك هل تعرف قصة إيه " أجابته متعجبًا : " وهل لها قصة ؟ " قال : " نعم " قلت : " وكيف ذلك ".؟

قال إيه   إيه إيه إيه إيه   ثم قال :

أول إيه   العاشق في النبي ايصلي عليه

وثاني إيه   اللي دير الخير يربح فيه

وثالث إيه   اللي يكرهك ما تعاديه

ورابع إيه   اللي ما يشاورك ما دير عليه

وخامس إيه   أحمد الخير اللي انت فيه

بدأت لي هذه الجمل الخمسة لم ترد علي في السابق في أي من كتب التراث أو سمعتها من شخص أخر غيره وبادرني شعور بأن هذه الكلمات أو الجمل الخمسة الموزونة والتي تحمل معاني إنسانية سامية ولكنها تنطلق من أحد الحكماء وأنني لاعتبارها إحدى إرهاصات الشعر الشعبي الموجود على الساحة الشعرية الشعبية في بلادنا منذ نهاية القرن الثامن عشر قلت : " زدني يا شيخنا " قال وهو يبتسم " مم " قلت له : " مما أعطاك الله " قال لي : " ذكرتني أنت بأسلوبك بمجموعة القافلة الثقافية التي زارت الأبيار في أواخر السبعينات وأوائل الثمانينات " قلت : " وما قصتها " قال : " وسع بالك وخليك ياولد اطول اجبالك " قلت : " لك ما تريد " قال : زارتنا القافلة الثقافية من مدينة بنغازي . وبعثوا لي حيث حضرت فقال لي أحدهم اسمعني يا شيخ خليفة أشعارك حينها ضحكت وقلت هل يسمع الجاهل المتعلمين كيف ذلك؟ لكن عندي لكم سؤالين واحد اسأله ونجاوب عنه والآخر اسأله مش حنجاوب عنه إلا بشرط قالوا لي وما هو الشرط قلت إن جاوبتم على سؤالي ضيفتكم عندي مدة الإقامة في منطقتي الأبيار قال أحدهما : وإن لم نجيب على سؤالك هذا ؟ قلت : أجيب أنا ولكن لا يتكلم أحدكم طيلة مدة بقائكم إلا بإذن مسبق مني ضحك الجميع وقالوا : ما هو السؤال الأول الذي إذ لم نعرفه أجبتنا عنه، قلت من هو العالم اللي ما قرا في مدرسة وما تقولوش محمد صلى الله عليه وسلم لأنه مستثنى في ذلك تناقشوا مع بعضهم مدة طويلة أكثر من ساعتين وقالوا والله يا حاج خليفة أتريد الحق ما عرفنا الإجابة قلت العالم اللي ما قرأ في مدرسة هو الشاعر يتكلم في كل شيء وهو عمره ما دخل مدرسة .

قالوا: والسؤال اللي ما تجوبنا عليه إلا بشرط

قلت: اللي ما عرفتوا الساهل اتريدوا تعرفوا الواعر زعمه

قالوا: امغير قوله

قلت: ترضوا بشرطي لكم

قالوا: حاضر

قلت: * ثلاث خسارة في ثلاث

* وثلاث ينقصن من ثلاث

* وثلاث يخايلن على ثلاث

* وثلاث يغيبن ملح ثلاث

* وثلاث يضحكن على ثلاث

* وثلاث ما يبطلن من ثلاث

* وثلاث هنا تمام العقل

عطاهن الله وما حسد

اكتبوا اللي قالته لهم وقالوا بكره إنشاء الله انردوا عليكم امبكرها جاني المرحوم " عبدالسلام قادربوه والشيخ سالم اكريم " وقالوا ياحاج خليفة خذينا الليل كله ونحنا نتناقشوا في الكلام اللي تقول فيه لا هو موجود في كتاب ولا حتى في الكمبيوتر قلت يعني ما عرفتوش الإجابة؟ رد علي المرحوم " عبدالسلام قادربوه " وقال يا حاج خليفة راه حتى البحر يريد ازياده.

قلت : لكن انت يا ولد قادربوه ما نكش بحر قدامي هذي كلمة يقولها شاعر كيفي ولا خير مني قال : سامحني يا شيخ خليفة قلت : راك مسامح يا عبدالسلام. توه انجيكم في الليل ونقولكم الجواب إنشاء الله. قول في الليل اجتمعنا وهم متشوقين لمعرفة الإجابة. وبعدها سهرينا ولقيتهم متشوقين قلت لهم:

أولاً الثلاث اللي خسارة في ثلاث

* خسارة القمح في الدواب

* وخسارة العسل في الكلاب

* وخسارة الواجب في اللي ما يعرف رد الواجب

ثانيًا الثلاث اللي ينقصن من ثلاث

* الكيل ينقص من العرمه

* والمغرف ينقص م البرمه

* والبسط ينقص م الحرمه

ثالثًا الثلاث اللي يخايلن على ثلاث

* الفرس والفارس والبرنوص والجزة ع البركوس

" البركوس يعني الخروف في لهجة الشق الغربي من بلادنا "

واللبس ع العروس

رابعًا الثلاث اللي يغيبن ملح ثلاث

* الجحفه بلا غلاق

* والبيت بلا رواق

* ولنثى رقيقة الساق

خامسًا الثلاث اللي يضحكن على ثلاث

* الموت تضحك ع الذليل

* والقسيمه تضحك ع البخيل

* والقدر يضحك ع الحذر

سادسًا   الثلاث اللي ما يبطلن من ثلاث

* الوطا ما تبطل م المطر

* والعين ما تبطل م النظر

* والوذن ما تبطل م الخبر

سابعًا   الثلاث اللي هنا تمام العقل

* عطاهن الله وما حسد

* أن يبقى غاليك بالدار جار

* ويغيب النقار وتمعد معاه في وسط النهار

وبعد أن شكرته على ذاكرته الخصبة وعما أتحفنا به قلت : " يا شيخ هل هناك شيء تحفظه عن أبيك ؟ " لأنني أعني ما يقوله سيكون بالمقارنة بعمره ووالده يتجاوز المئة وخمسين عامًا تقريبًا إن لم يكن أكثر.

قال : " تقول العرب لاوله الوذن تسمع والعيون يوازن والعقل يوزن والقلوب مخازن ".

طالت بنا الجلسة الخلوة ولم نعرف بأننا قضيتنا زهاء ساعتين نتجول فيها في محراب التراث ، فودعناه على أمل اللقاء به مرة أخرى.

الأمثال في مجتمعنا

يعتبر المثل الشعبي هو نبض لحيوية الشعوب والمثل الشعبي يعد صورة صادقة لمشاعر وأحاسيس مجتمعنا والمثل هو تعبير صادق عن ظروف الناس وأحوالهم ويعتبر البعض المثل الشعبي هو دلالة نفسية تقدم أحيانا فـي شـكل طرفة للتعبير عن موقف أو معالجة حالة معينة ، ويعتبـر الأدبـاء الأمثـال الشعبية مرآة صافية تنعكس عليه نفسية أهلها فمثلا المثل القائل:

أسرف ما في الجيب يأتي ما في الغيب

البعض يعتبرها دعوة للتبذير بحيث ينفق الإنسان دون تفكير في الغد ، والبعض الآخر يراه علاقة وطيدة تدل على الثقة بالله سبحانه وتعـالى مـن منطلق أن كلمة الغيب هنا لا تقتصر معناها على ما يمكن إدراكه أو التنبؤ به بل على كل ماهو عند الله وما في الغيب المستقبل نجد أن الأمثال تدعو لكتم السر فنجد أن العديد من الأمثال تعالج هذه الخاصية وتحرص على ضرورة التحلي بها فهي عادة حسنة أن تكتم سر الآخرين.

* السر ان زاد على اثنين ينعرف
* السر بين اثنين وان جاه ثالث فسد
* اللي كثير كلامه يكثر ملامه

دعوة لمساندة الحق :

اللي تنقطع وذنه فالحق ما يسماش عكروت

دعوة للإيمان بان الأرزاق عند الله :

إن طلبت اطلب الله وقول

يا كريم المعاطي اللي العبد

خليك منا لا يرفقك لا وطي

دعوة لعدم الخيانة :

اللي امنك ما تخونه لوكنت خاين

دعوة لعدم إكثار الكلام :

إن كان الكلام من فضة السكوت من ذهب

دعوة للتحفيز الشاطرة :

الشاطرة تغزل برجل حمار

الشاطرة تقضي حاجتها والخايبة تنده جارتها

قسوة زوجة الأب :

ياملـه يامرت بوى لوله

تقرس وتعطي في القنان قالوا لواحد :

مرت بوك تحبك

قال زعمه انكلبت

علاقة الزوج بالنسيبة أو الحماة :

ايش ادير لنسبتك الهبلة

قال طلق بنتها

إذا أراد الأدب الشعبي أن يحقر إنسانًا يلقب به باسم أمه: ولد فلانة :

دعوة للوحدة :

يد وحدها ما تصفقش

دعوة لوضع النسيب في مرتبة قريبة :

نسيب ولابن عم قريب

دعوة لصلة الدم :

الدم عمره ما يقعد اميه

دعوة لعدم التهور :

الدم مغطي العيب

دعوة لتأكيد دور الأب :

لو كان الأخ يربي خوة

ما فيه واحد بكى على بوه

دعوة لإثارة الرعب لدى الآخرين :

اضرب المربوط يخاف السايب

دعوة للترغيب دون التخويف :

عصا العز هوب وما تضربش بيها

دعوة لقيمة الإنجاب :

من خلف ما مات

دعوة لتفضيل الابن على البنت :

امراح البنات ديمة خالي

بو البنات يناسب الكلاب

دعوة للتأكيد على الفارس :

فارس يعز قبيلة

دعوة لمحبة الأحفاد :

ما عزم الولد اللي ولد الولد

عبء الأبناء :

لا للي بهم مرتاح ولا للي بلاهم مرتاح

وهناك الكثير من القيم والدلالات في الأمثلة الشعبية ولكن أخذنا نماذج للدلالة على أهمية الأمثال في حياة الشعوب.

الأمثال الشعبية ودلالاتها

" كيف اللي يصوم ويفطر على بصله "

ويضرب هذا المثل للشخص الذي يبذل مجهودًا كبيرًا يتحمل فيه الأهوال والمشاق ثم يحصل من عمله هذا على شيء تافه جدًا، والمقصود به أن الإنسان إذا سعى وراء شيء فلابد أن يكون العائد على الشخص أكثر من تعبه. وتقابله في المعني هذه الأغنية : " صيام وصايم أطناشر عام على بصله قالوا لي أفطر "، وقيلت في رجل طلق زوجته " العلم " وظل اثنتي عشرة سنة " أعزب " ثم تزوج من أخرى دون الأولى في النسب وفي الخلف والجمال.

" اللي يدخل فلي ما يعنيه يسمع اللي ما يرضيه "

إن واعز الأخلاق والاحترام يحذرنا من التطفل والتدخل في شؤون انغير، كل فرد يمثل جزءًا ما من الإنسانية إلا أن لكل فرد أفكاره ومشاعره الخاصة وأسراره وعالمه المتفرد و أن أي تدخل في الشؤون الخاصة للفرد يثير الحنق. أن الإهانة والتحقير والمذلة وحتى العقاب هي جزاء من يتدخل ويتطفل بفضولية في شؤون الآخرين، والتصفح للأمثال العربية والأمثال الشعبية تلاحظ أن هناك تقاربًا بين الأمثال العربية والأمثال الشعبية حتى تكاد تعتقد أنه ترجمة للمثل من اللغة العربية إلى اللغة العامية.

فهناك مثل عربي مفاده:

" إذا شاورت العاقل صار عقله لك"

يقابله مثل شعبي مفاده:

" اللي يشاور الناس يشاركهم عقولهم"

ويقول أكثم بن صيفي في وصية لابنه في خطر اللسان حيث يقول له: "مقتل الرجل بين فكيه"، ويقول سيدنا أبو بكر الصديق- رضي الله عنـــه -: "إن البلاء موكل بالمنطق".

ومثل شعبي يقول:

"اللسان هبره تكسر العظام"

ونجد الشاعر التايب بوياسين لا يُحمل اللسان كل المسؤولية، بل يرى في وجهة نظره أن النفس هي التي تتحكم في اللسان وبالتالي يخاطبها قائلًا:

الـــنفس دولهـــا خلهـــا تجـــي ع اللومــــة
أن مادلتهـــا تـــشقيك راهـــا شـــومة
النفس أحجرها على شئ واجد ردهــا وأنزرهــا
ورجلـــك علـــى بـــاب الفـــساد أقـــصرها
والـــصاحب اللـــي لايـــم عليـــك تلومــــه
وكيـــف تلفـــظ الكلمــــة ومـــا تقـــدرها
تـــسير زالـــــه والزالـــــه معدومــــــة
وراه الجديـــــد بنورتــــــه للـــــــشرهة
وكيـــف تبهتـــه فـــي البيـــع يـــشوي ســـومه
ورى الـــريح مـــا تهمــــد إلا مطرهــــا
ورى العـــين مـــا تنظـــر وهـــي مغمومــــة

" علشان الورد ينسقي العليق "

والعليق هو نبات لا فائدة فيه، ولكن تأتيه المياه فينتشر وتكون المياه

لغرض سقي الورد، ويعني هذا المثل أن يوصل شخص غرضًا عن طريق شخص آخر، وفي تطبيقه تحدث أخطاء ولا يصبح قاعدة أو بابًا عامًا، وهو خطأ من الناحية الخلقية، ولكنه واقع في دنيا المجتمع ومعمول به في الحياة الاجتماعية.

يقابله بالفصحى :

" من أجل الورد يشرب العليق "، وهناك مثل آخر :

" هالقمة قصاد هالفم "

ويضرب المثل عندما يتزوج دميم أو قبيح المنظر من امرأة تشبهه من حيث هذه المزايا، أي تكون هي الأخرى قبيحة المنظر عندها يقال هذا المثل، وإن كان في المثل بعض الإحراج وتذليل للشخص القبيح لأن ذلك ليس من صنعه، وإنما من صنع الخالق، ولكن هكذا الأمثال في المجتمع تتبع ولا يمكن تركها أو إلغاؤها. ويقابله مثل آخر مفاده :

" داقره ولقت غطاها "

ويقابله في اللغة العربية :

" وافق شن طبقه "

" دور لولدك خال "

ويقصد به أن يكون من مواصفات الزوجة هو أن تكون من أسرة كريمة معروفة بالشجاعة والكرم والسلالة الطيبة، ولا يكون همك فقط جمال المرأة، فالمثل يدعو إلى أن تفكر في المستقبل بحيث يكون من هو خال لابنك.

ويقابله مثل عربي يقول :

" إياكم وخضراء الدمن ".

وهو مأخوذ من قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

" إياكم وخضراء الدمن قالوا : وما خضراء الدمن ؟ قـــال : المــرأة الحسناء في المنبت السوء ".

" الدمنة مسرح الإبل تبول وتبعر فيصيبه الغيــث فينخـضر ويــأنف منظره وهو تشبيه للمرأة الجميلة ولكنه من منبت السوء ".

" خشني نطلعك – أزرعني نقلعك "

قد تفعل خيرًا في شخص ما فيقابل ذلك بإساءة إليك على عكــس مــا فعلته من أجله. وقد تناول الشعراء نفس المعاني في أبياتهم فقد قال أحدهم :

أعلمـــه الرمايـــة كـــل يـــوم فلمـــا اشـــتد ســـاعده رمـــاني

وكـــم علمتـــه نظـــم القـــوافي فلمـــا قـــال قافيـــة هجـــاني

ولا يعتبر هذا المثل قاعدة، بل هناك من الناس من لا ينطبــق علــيهم المثل فإذا أحسنت إلى أحدهم رد الحسنة بعشرة مثلها.

" اضرب الحديد وهو ساخن "

وهذا المثل يعني إذا أتت الفرصة إليك في عمل أو دراسة أو غيرها فلا تؤجل ذلك إلى وقت آخر، بل حاول أن تقتحم الفرصة حتى لا تــضيع منـــك. والحديد لا يصبح سهل التشكيل إلا في درجة حرارة عالية، بالمثل يأخذ مــن الدرجة التي يتم فيها طواعية الحديد هي اللحظة التي تتوفر لإنجاز العمل.

ويقابله في الرأي:

" انكان قابلك خير ذري ما في الموانها خيره

وإن ما قبلك خير خلي تبنه مغطي شعيرة "

ويحضرني مثل عربي يعالج الاستعانة به في الأمر الشديد أو يقاربـــه في الحلول وهو :

" إن الحديد بالحديد يُفلَحُ "

" ما يحس النار اللي عافس فيها "

يعتبر هذا المثل نقدًا مباشرًا يوجه للفرد الذي لا يحس بما يقاسيه الآخرون حيث يقف موقفًا سلبيًا تجاه آلام غيره أو موقفًا مغايرًا منهم. وعندما تعالت صيحات الجماهير في بريطانيا من الجوع تساءلت "ماري انتويت " عن السبب فقالوا لها : لم يجدوا الخبز فقالت : لماذا لا يأكلون الكعك، فلو كان أحد الليبيين بجوارها لقال لها هذا المثل.

وهناك مثل آخر يشابهه :

" الشبعان يفتت للجيعان فتا بطيء "

" اتعلم واترك "

هي دعوة ملحة لمعرفة أسرار الأشياء والغوص في أعماقها وإتقان أدواتها حتى تصل إلى درجة الإبداع فتعلم المهنة أو المعرفة يجعلك تحيط بعالمها وإن كانت لا تحقق لك فائدة في الوقت الحاضر، بل لا يأتيك ضرر منها وقد تكون مفيدة لك مستقبلاً.

" الصاحب وقت الشدة "

ويقصد به أن الأصدقاء هم الذين يقفون بجوارك أثناء المحنة، ولا يكون وقوفهم معك وقت المصلحة وذلك لأنك في أمس الحاجة إليهم أثناء المحنة، أما في الظروف العادية فقد نجدهم كثيرين ولكن الامتحان للأصدقاء يكون في مواقفهم أثناء احتياجك لهم، ويقول الشاعر :

إن أخا الهيجاء من يسعى معك ومن يضر نفسه لينفعك

والهيجاء : هنا تعني الحرب، وقد تكون مصائب الدهر.

غناي السوق

في منتصف القرن التاسع عشر وفي سوق الظلام بمدينة بنغازي كانت هناك حالة نادرة، شيخ يناهز السبعين من عمره راوية لصوب خليل، ويمتلك القدرة الفائقة في نظم غناوي العلم، حسب الظروف التي تروى له حيث يضعها في قالب شعبي وهو " غناوة علم "، كان مميزًا بملبسه العربي الأصيل وطاقيته الحمراء، وكان معروفًا في مقاهي سوق الظلام بأنه يبيع غناوي العلم الواحدة بقرش وإن كنت تريد شتّاوة للأغنية عليك أن تضيف قرشًا آخر وفي حالة الكرم له وزيادة القيمة فلا شك أنك تحظى بما لا يحظى به غيرك من جودة المعني وجمال اللفظ وقوة التأثير، وهذه الغناوة تؤكد ذلك:

خليني لاوي العبروق

انبرطن في غناي السوق

وكلمة " انبرطن " أعتقد أنها إيطالية الأصل تعني المبالغة في الكلام.

جاءت إلى غناي السوق امرأة من الريف كانت قد حلت على المدينة لبيع ما لديها من سمن ولبان وبيض، وأرادت مقابلة غناي السوق فسألت عنه حيث وجدته يجلس في إحدى المقاهي، وعندما تعرفت عليه قالت له : أريد غناوة علم بقرش.

رد عليها غناي السوق وقال : شنو فاهقك قولي وبذلك يعني " ما هو مضمون غناوة العلم التي تبحثين عنها ".

قالت المرأة : لقد تجاوزت الخمسة والثلاثين من عمري ولم يأتني خطاب إلا هذه الأيام للزواج مني.

رد عليها غناي السوق : قاعدة وحياة بوك تقول :

لهـــــــن زمــــــــان مركونــــــــات

مراكـــب الغـــلاء نـــاض عـــونهن

ومعنى " لهن زمان مركونات " يعني رياح الزواج كانت فـــي حالـــة بيات أو حالة تخزين، لأنه شبهها بالمراكب التي كانت في انتظـــار ريـــاح الزواج لتطلق شراعها عبر أمواج بحر الحياة، لأن كلمة " ناض عـــونهن " تعني تحركت الرياح.

وجاء لغناي السوق رجل يريد أن يتحداه فقال لـــه : عندي شتَّاوة أريد غناوة علم لها وادفع لك القرش المطلوب، فقال غناي السوق : هات ما عندك يعني " قل الشتَّاوة اللي عندك " قال الرجل لغناي السوق :

ليـــــاس ايجـــــرد بطيــــــوره

ع العقـــــل ايجـــــرد لـــــــه

مـــــدة اليـــــاس ايجـــــرد

ضحك غناي السوق وأصر أن يضع الرجل القرش على الطاولة وقال هاك ما تريد :

أريـــــــد يقرضـــــــه قرضـــــــان

ليـــاس يـــا علـــم دال ع الغـــلاء

ورغم أن وجود الرجل كان ظاهرة جميلة ولا نحظى باسم صـــاحبها، وهذه قد تكون سمة الأدب الشعبي حيث نجد النص ولا نجد صاحبه، ولكـــن نجده في غناوة علم يؤكد بأن صوب الخليل ذلك الفن السامي الذي أحبه جعل

منه شخصية يتندر الناس بها ويضحكون عليها رغم أنه مؤمن بهذه الرسالة الفنية الرائعة التي كانت بين جوانحه في كونه يترجم للآخـرين أحاسيـسهم ومشاعرهم في قالب فن شعبي يصلح للجميع، ولكن البعض أساء دوره فنجده يقول في غناوة علم :

خليـــــــــت خـــــــــاطري للنـــــــــاس

ملاهـــــــــي يـــــــا علـــــــم خانـــــك الله

والمقصود بكلمة " علم " غناوي العلم، و " الملاهي " هي كونه أصبح تسلية للآخرين دون أن يحترموا رسالته التي يـؤمن بهـا، والتـي تـساعد الآخرين على التعبير عن ما في خاطرهم من مشاعر وأحاسيس.

العجوز المتصابية

كانت هناك امرأة عجوز متصابية تهوى صوب خليل وتبحث عمَّن يتبارى معها في مجالاتها المختلفة وكانت هذه العجوز ذات حالة مادية ممتازة ذات مرة اتفق رجلان على سرقة العجوز أثناء النهار بعد أن وجدا حيلة يحتالان بها على العجوز. فدخل أحدهما من مدخل البيت وبعد السلام حاول الاستفسار عن معنى غناوة علم مما جعل العجوز تفرح وتأخذ في سرد المعنى في حين دخل الرجل الثاني البيت من الخلف وأخذ يبحث عن برسيم التمر فوجده فأخذ يقطع منه ويضع في الشوال " الكيس "، وعندما امتلأ نصف الشوال أراد الرجل الاكتفاء بسرقة نصف الشوال وحاول إفهام صاحبه بالإشارة، ولكن صاحبه كان جشعًا وأراد من صديقه أن يملأ الشوال بالتمر خاصة وهو يعرف أنه من أجود أنواع التمر، فوجد فكرة ترضي الاثنين معًا العجوز وصديقه ليؤكد له بمعنى غناوة العلم على ضرورة امتلاء الشوال فاستحضر بسرعة تلك الغناوة والتي مفادها :

زيدهم أخرى طروان

عرب اعزازع العين يا علم

وكلمة زيدهم في البيت تعني " أكمل الشوال " فعند سماع العجوز الغناوة أخذت تبحث عن الرد بينما وصلت الرسالة إلى صديقه وعرف أنه أمر بضرورة ملء الشوال.

وعندما ردت عليه العجوز كان صاحبه قد أشار له بأن شوال التمر قد

امتلأ، فأراد أن يقول غناوة علم أخرى تعطي دلالة لصديقه على ضرورة شد وثاق الشوال حتى لا تسقط منه حبات التمر أثناء نقله فترشد الآخرين إلـــى هذه السرقة فقال له غناوة علم تقول :

غـــــــلاك دوب شـــــــيل العقـــــــل

اقــــشط عليــــه قــــشطة واثقـــة

وهذا ما يؤكد أن غناوة العلم كانت في الماضي تعطي دلالة المعـــاني وبالقدر الذي كانت تعد وسيلة تخاطب بين العشاق، وكانت أيضًا وسيلة بـــث الحماس والمساعدة على إتمام النوادر بين الشعراء والمحبوبين معًا.

أبو طيغان " مراسل عسكري "

أبو طيغان العرفي من منطقة المرج فـارس يمتلـك كافـة صـفات الرجولة، يهوي الشعر ويجيد نظم غناوي العلم المجـسدة للمواقـف التـي يتعرض لها عبر دروب حياته ويقتنص من تجاربـه وتجـارب الآخـرين وينظمها في غناوي علم، والباحث في إنتاجه الإبداعي قد ينظم عقـدًا مـن أغانيه التي نقلت لنا عنه من صدور الرواة ليحظى بقصة أو حكاية أو حكمة جاءت لنا نتيجة تجاربه من الحياة.

وقد جند أبو طيغان ضمن الجنود الليبيين الذين جندتهم إيطاليا رغـم أنوفهم للحرب في الحبشة ووجد نفسه داخل سفينة حربية متجهة نحو الحبشة هو وأبناء وطنه من كافة المناطق مما جعله يكلف نفسه من خلال موهبتـه الشعرية أن يتحول إلى مراسل عسكري ينقل لنا أدق تفاصيل هـذه الرحلـة شريطة ونحن نختار من أغاني العلم التي قالها ما يناسب مراحـل الرحلـة ونترك له حرية اختيار غناوة العلم التي تجسد لنا هذه المراحل، فنجده فـي بداية الرحلة وهو غير متعود على ركوب أمواج البحر ومن معه، حيث يقول غناوة العلم الأولى في رحلته :

" اركبنـــا فـــي ديمـــوم غريـــق

امفيـــت الله اديـــر طريـــق "

فهذه هي مراسلته الأولى التي يصف لنا من خلال غناوة العلم الحالـة التي عليها الجنود ونفسيتهم وهم يرتادون مخاطر البحر.

ويخص الشاعر أبو طيغان مراسلته الثانية حينما يتذكر الحبيبة وهــو يبتعد عنها ولكنها دائمًا قريبة من نفسه وعقله حتى جعلته يقول :

" ســـــــلام فــــــوق رووس المـــــــزن

لنظـــــــار يــــــا علــــــم دازتلـــــك "

وكأنه يتخيل وهو في أوائل القرن التاسع عشر بأن منتصف هذا القــرن يشهد اتصالات فعلية بدون أسلاك متصلة مثل التلكس والفاكس، ها هو يبعــث سلامه الذي يتضمن شوقه ومحبته إلى من يحب مع أمواج السحاب. وحينمــا تطول به الرحلة في وسط البحر ويتعرضون فيها لمخاطر جمة، ويغزو نفوس الجنود اليأس من العودة إلى أرض الوطن سالمين وهم لا يزالون في البدايــة نجده يردد بين أضلعه غناوة علم تجسد الحالة التي اصبح عليها حيث يقول :

" نحـــــسب يــــــا عزيـــــز ليـــــاس

حكـــــاوي عــــــرب نــــــين رايــــــتهن "

وهذا ما يؤكد لنا من خلال رسالته الحالة النفسية التي كان عليها الجنود.

وتتوالى الأحداث مشقة وأهوالاً وسط البحر وقد يكونون قد تعرضــوا إلى غارة جوية مما زاد ذلك من حالة الخوف والذعر عند الجنود، فيأخذ هو دوره وهو رفع معنوياتهم وهو يردد لهم هذه الغناوة :

" اليـــــاس امطـــــول مـــــا كنيـــــب

اليـــــــــــاس امطـــــــــــول

ســــــــاعة م الـــــــساعات يحـــــول

مـــــا كنيـــــب اليـــــاس امطـــــول

وبعد رحلة شاقة ذاقوا فيها الويل تقذفهم السفينة في مناطق وعرة في شواطئ الحبشة وتعود أدراجها ليجدوا أنفسهم يواجهون عدوًّا على أرضه وهم يجهلون الأرض وأساليب العدو، وعادة ما تسمى فرقة المشاة الإيطالية باسم " طاوة ".

يصادفون أثناء تجوالهم الكثير من المصاعب ويفقدون الكثير من رفاقهم أثناء معارك الكر والفر التي يقوم بها جنود الحبشة، وبينما هم يتسلقون مرتفعًا إذا بأحد الجنود الحبشيين يتخندق لهم في مغارة ويصطاد كل من يراه خاصة وهو يأخذ عليهم ميزة الارتفاع والرؤية الجيدة ويكاد يقضي عليهم.

وهنا تظهر شجاعة شاعرنا " أبو طيغان "، فيطلب من رفاقه حمايته من أعين الجنود ويعرض نفسه للخطر ويحاول الصعود وينجح فيفاجئ الجنود داخل المغارة ويقضي عليهم بمفرده، وهو يشعر بعد ذلك بالنصر والاعتزاز وهو يردد غناوة العلم :

" عبد ازرق ما يصغر طاوه

يسمعها بوخد الضاوي "

وكأنه يريد أن يقول لنا إن فرقته والمسماة بالطاوة لا يمكن أن تهزم أو يقلل من قيمتها بعض الجنود، وهذا ما اعتبره عيبًا إذا ما سمعت محبوبته بذلك وهي التي تفخر به وبشجاعته المعروفة عنه، وبينما هم يسلكون دروبهم الوعرة وسط غابات وأراضي الحبشة فكان لابد لهم من فترات يرتاحون فيها من مشقة السفر على الأرجل ومعاركهم المتواصلة والخطر المحدث بهم ليلاً ونهارًا، وفي إحدى المرات فوجئ الجنود بهجوم مباغت ووابل من الرصاص مما تسهّل لبعض الجنود فرصة الهروب من المعركة، ولكن يقف أبو طغيان لهم بالمرصاد ويبدي شجاعة فائقة توقف تقدم الأعداء، وهذا ما جعل زملاءه يعودون إلى أرض المعركة وينتصرون على عدوهم.

وبعد المعركة يقول له زملاؤه الجنود : جسد لنا هذا الموقف في غناوة علم، فيضحك ويوجه كلامه لهم قائلاً :

" **النوضـــــــة قـــــــدام الــــــــشوشان**

توجـــــع بـــــو ســـــالف ريـــــان"

وهذا ما يؤكد لنا أن الهروب من العدو وما يجـره مـن هـزائم قـد يعرضهم للقتل والتشريد والتنكيل، رغم ذلك فهو يعتبره أيـضًا طعنًـا فـي رجولته إذا ما سمعت به محبوبته ذات جدائل الشعر الجميلة المرويـة مـن عطور وزيوت طبيعية تعمل على أن تكسبه منظرًا جميلاً ورائحة زكية.

وبعد قضاء سنوات عديدة من الغربة في الحبشة يعودون إلـى أرض الوطن سالمين فقد كتبت لهم الحياة من جديد، وهم فرحون بالعودة، ووسـط هذه الفرحة نجد أبو طيغان يقول غناوة العلم :

" **اقطـــع هـــو كلـــه جـــيش اليـــاس**

اقطــــــــع هـــــــو كلـــــــه

كـــــي ضـــــباب فـــــسد واتجالــــــه

جـــيش اليـــاس اقطـــع هـــو كلـــه

وعندما تقترب السفينة من أرض الوطن وتطلق صفارتها دلالة علـى قربها من المياه الإقليمية نجده يرسم لنا الصورة التي تحمل أصوات السفينة وحنينه إلى محبوبته حيث يقول :

" **طلــــق عيطاتــــه خـــش الجـــون**

تواجـــل بـــو ســـالف مـــدهون "

ها هو قد وصل إلى أرض الوطن بعد أن نقل لنا صورة حية عما دار في هذه الرحلة من بدايتها إلى نهايتها، وهذا ما يؤكد أصالة تراثنا وما يستطيع أن يفعله من تواصل للمعاني والصور وتوثيقها لتبقى صور حية عبر الأجيال.

شعـر العونجـي

شعر العونجي هو لون من ألوان الشعر الـــشعبي ابتدعـــه الـــشعراء الشعبيون كنوع من التجديد والترف، يتناول مواضيع لجوانب الشعر الشعبي في مجال من الصعب أن يرتاده الكثير من الشعراء الشعبيين، وقـــد حـــاول مجموعة من الشعراء الرواد أن يقتحموا سباق التباري في غمار هذا اللـــون الجميل والذي يتضمن اعوجاج البيت الأخير أو القفـــل الخـــاص بالبيـــت، والمقصود هو إظهار براعة الشعراء ومدى إتقانهم لنظم القوافي من خـــلال هذا النمط الجديد عليهم، وهو نمط العونجي والتباري في إظهار مقدرة كـــل شاعر على إيصال المعنى المراد من خلال اللفـــظ المعـــوج دون الإخـــلال بالمعنى المقصود.

والشاعر مصطفى بوطيغان المغربي ارتاد هذا اللـــون مـــن الـــشعر الشعبي، وهو شاعر له باع كبير في مجال هذا اللون وغيره من ألوان الشعر الشعبي حيث تناول الكثير من القصائد الرائعة والضائع أغلبها في صـــدور الرواة، فقد تناول هذا الشاعر قصائد في الغزل والتغني بالوطن، وفي مـــدح الرجال، وفي جانب الهجاء، وهو شاعر من شعراء الفتـــرة الثانيـــة للعهـــد العثماني، نتناول من أشعاره هذه القصيدة التي لم نعثر لها على عنوان :

نظيفـــــة ســـــفت كـــــم نيلـــــي زرنقـــــي

وجت ترتشقني كما مير لأي شارب عرنقي

نظيفـــــة ســـــفت دورهـــــا ع الجبـــــين

حدر شونتين قرانـــات للحـــرب متـــوافقين

مثيلهـــا مـــا ظهـــر فـــي ســـنين

بهى الرمنقي صور بتركيح ماو بالـــشرنقي

نظيفـــــة ومطلقـــــة فــــي القمــــشة

بنة دبشها تبري شطيط المرض لا تغـشى

خرخـــــوط جـــــت شـــــاقه وتتمــــشى

وتدير شنقي مملوك له راطنـوا بـــالفلنقي

نظيفـــــة ومطلقـــــة فـــي النباتــــه

حدود الثباته وخرطوم وعيون جن بانفلاته

ودورهـــا علـــى الجـــوف نقـــض وفاتــــه

بشمله طواته رطب طاح ما حوتها لا يماته

الزينـــــة اللـــــي بـــــصوبها صـــــيفاته

بعد وادعاته عليها ذرف نين سالت قناتــه

إن مــــا قـــسمت يـــا حلـــو شـــبه انعاتـــه

حرام العشنقي مع الغير لو كان جــا فــي

وجاء في ديوان الشعر الشعبي المجلد الثاني من منـــشورات جامعـــة قاريونس نبذة عن حياته، حيث كان أحد مشايخ عائلة بهيج المعروفين مـــن قبيلة المغاربة وقد أقام الشاعر في منطقة النوفلية وساهم في حركة الجهـــاد ضد الاستعمار الإيطالي وكان قبل ذلك قد شارك مع إخواته الليبيين في تشاد ضد الاستعمار الفرنسي وهذا ما يؤكد أيمانه بمبدأ الحرية ومحاربـــة الظلـــم حتى توفى في تشاد.

نظيفـــــة ســــفت كـــم نيلـــي زرنقــــي

وجت ترتشقتي كما مير لأي شارب عرنقـــي

اعتقد أن اغلب الشعراء حينما يتناولون المـــرأة بالوصـــف يحـــاولون استحضار الشبه للموصوف من خلال القريب منهم فمثلاً إذا كانت بيئة الشاعر صحراوية نجده يشبه محبوبته في جمالها وفي حلاوتها بـــريم الغـــزال وهـــو صغير الغزلان أو الفرس في رشاقتها وحينما يشبهون العيون يلجـــؤون إلـــى الصقر أو الطيور الأحرار دلالة على قوة النظر وجمال عيونها أما الـــشعراء الشعبيون الذين عاشوا في المدن فتغلب على أوصافهم الأشياء التي كانت تحيط بهم أو تعتبر مصدر من مصادر الإعجاب وبالتالي الإلهام فنجد الشاعر هنا في بداية القصيدة يؤكد على كلمة نظيفة وهي تعني بيضاء اللون صافية البـــشرة جميلة المظهر وكلمة ترتشنقي تعني عندهم الرشاقة وفي قفل البيت نجده يشبه الفتاة وهي قادمة نحوه في دلال وفي خيلاء كمثل الضابط التركي الذي يرتدي بدلته الرسمية المطعمة بالنياشين والأوسمة العسكرية وهو في حالة من السكر حيث تبدو خطواته غير ثابتة على الأرض في حالة من الترنح.

نظيفـــــة ســــفت دورهـــــا ع الجبـــــين

حدر شونتين قرانات للحـــرب متـــوافقين

يعود فيؤكد لنا الشاعر على أن محبوبته جميلة بيضاء ثم يأتي بكلمة " سفت دورها " وهي تعني أن الفتاة قد قامت بنقل جدائل شعرها الجميل على الجبين بحديث غطت منطقة اليمين اليسار من جبينها بهذا الشعر الرائع وشبه لنا هذا الوجه الجميل في البياض والمتجانس مع اللـــون الأســـود لخـــصائل شعرها كمثل خطين جميلين متوازيين وهذا الشعر الغجري المنـــساب يبـــدو وكأن شيئين واقفان كالفريقين أخذا يعدان العدة والتهيؤ والاستعداد لخـــوض غمار معركة فبدأ في حالة من التأهب.

مثيلهـــا مـــا ظهـــر فـــي ســـنين بهـــي
الرمنقي صـــور بتـــركيح مـــاو بالـــشرنقي

يعني الشاعر بان هذه الفتاة لم يظهر لها مثيل منذ زمن بعيد وكلمـــة " ابهى الرمنقي " يقصد بهذه الصورة الحلوة المغرقة في الإبداع وكأنه يريد أن يقول لنا أن جمال هذه الفتاة آية من آيات الحسن والجمال فسبحانه الذي جعل هذا التناسق والتجانس صفة من صفات وجهها الجميل وقـــد ســـمعت أحـــد المهتمين بهذا الشاعر يروي لي هذا البيت بصورة أخرى مغايرة وأن كانت هذه الصورة اقرب لاكتمال معنى البيت كما أن التغير قد حدث فـــي صـــدر البيت فقط فجاءت على النحو التالي :

وإذا ما اتفقنا على هذا التغير في الشطر الأول أو الصدر كما في الشعر الشعبي فأننا قد نستعير القاعدة القائلة بأنه يجوز للشاعر مالا يجوز فهنا تأكيـــد ضمني من الشاعر على أن الله سبحانه وتعالى قد رسم صورتها وهي صورة لا يتصف بها الباري عز وجل ولكن الشاعر أراد أن يأتي لنا بما يسيطر على أحاسيسه ومشاعره في تلك اللحظة من شدة إعجابه بجمال هذه الفتاة ولا يقصد الدلالة اللفظية للمعنى المراد وأن كان الله جميل يحب الجمال.

نظيفـــــة ومطلقـــــة فـــــي القمـــــشة
بنة دبشها تبري شطيط المـــرض لا تغـــشى

تكرر كلمة نظيفة هو تأكيد عن سماحة بشرة تلك الفتاة الحلوة والتـــي يرى الشاعر أن منظرها يدخل البهجة والسرور للناظرين وكلمة مطلقة تعني هنا معنى مغايرًا للمعني المتعارف عليه عندنا وهو الطلاق فالكلمة هنا تعني كاملة النمو والنضوج كامرأة رغم كونها ما زلت فتاة في عمر الزهور وكأنه يريد أن يقول إن ذلك الجمال كاف بأن يكون دواء يشفي من العلل حتى وإن كانت الموت مما يدخله على النفس من سعادة وسرور.

خرخـــــوط جـــــت شــــــاقه وتتمـــــــشى

وتدير شنقي مملوك له راطنــوا بـــالغلقي

وكلمة خرخوط كانت وما زالت تطلق على الفتاة الحلــوة والمتــصفة بالنعومة والأنوثة وكأنه يريد أن يقول أن تلـــك الفتـــاة الرائعـــة وهي تشق صفوف البشر تبدو وكأنه قائد منتصر يتقدم الصفوف فيخلي له الجموع المكان في حالة من الانبهار ويشبه هذه الصورة بالشخص المملوك الذي صدرت إليـه أوامر غير مفهومة فهو يرغب في التنفيذ ولكنه لا يعرف ما طلب منـه فأصبح في حالة من الدهشة وهي تلك الصورة التي أصبح عليها هو بمجرد رؤيتها أمامه تخطو في كبر وزهو بجمالها.

نظيفـــــــة ومطلقـــــــة فـــــي النباتـــــــه

حدود الثباته وخرطوم وعيون جن بانفلاته

كلمة نظيفة تتكرر عند الشاعر وكأنه يريد التأكيد على نظافة بـــشرتها الخالية من الكدر حيث تبدو كالقماش الناصح البياض دون شائبة تكدر ذلك " ومطلقة في النباته " هو تأكيد على اكتمال نمو الفتاة ورغم امتلاكهـــا لعـــدة صفات منها نظافة البشرة والبنية المتناسبة مع تقاطيع الجسم أضاف إلى ذلك الشاعر صفة أخرى وهي رجاحة العقل وكأنه غمر هذه الفتاة بكل الـــصفات الحلوة المرغوبة في المرأة وكلمة خرطوم كانت تطلق كصفة علـــى جمـــال الأنف وتناسقه مع بقية الوجه وعيون جن بانفلاته هو انسياب جمال العيـــون وتجانسها مع الأنف وكلمة انفلاته تعني الشيء المنفلت الخارج عن الطوع.

ودورهـــا علـــى الجـــوف نقـــض وفاتـــه

بشمله طواته رطب طاح ما حوتها لا يماته

ويعني الشاعر بكلمة دورها هو ذلك الشعر الغزير الذي كانت تداعبه الرياح حيث بدا وكأنه يريد أن يرسم على الأرض من طوله وجماله حتى كاد يلامس الأرض حينما رأت الفتاة ضرورة ضمه وشبه لنا الشاعر هذه الصورة بالرطب وهو ثمار التمر حينما ينضج ويستوي يقع من جراء نفسه بسرعة دون أن يقطفه أحد فشبه لنا سرعة سقوط جدائل شعرها بسرعة سقوط ثمرة التمر.

الزينة اللي بصوبها صيفاته

بعد وادعاته عليها ذرف نين سالت قناته

وكلمة الزينة هي صفة للفتاة الممتازة أو الفتاة العاقلة أو صاحبة الصفات الحميدة " واللي بصوبها صيفاته " والصوب هو العشق واللي بصوبها أي اللي بعشقها صيفاته هو تشبيه جميل حينما يقدم فصل الصيف تذبل كل الأشياء مثل أوراق الأشجار مما جعله يضفي على نفسه صفة الذبول من جراء هذا العشق مما يجعلني أعتقد أن هناك علاقة وطيدة كانت بينهما والدليل استحضاره كلمة وادعاته أي قامت تلك الفتاة بتوذيعه لأنها قد تكون أخذت لغيره وكأنه يريد أن يقول إن هذه الوردة التي نمت في حضني رشقت في صدر غيري مما جعله ذلك يذرف الدموع المنهمرة على فقدانها.

إن ما قسمت يا حلو شبه انعاته

حرام العشنقي مع الغير لو كان جا في

نجد أن الشاعر في البيتين الأخيرين ينتقل من حالة وصف جمال إلى فقدانه في اختياره للألفاظ الدالة على ذلك وبعد أن غمرها بكل الصفات الحلوة يؤكد لها بأنه قد أسدل الستار عن العشق ولا يجد لها بديلاً غيرها ولو سعت النساء نحوه لغرض علاقة جديدة مما يجعله ينفي ذلك حتى لو

اعترضت فتاة غيرها وتصنعت له وهو يشق طريقه في الحياة لـــن يعيرهـــا اهتمامًا لأنه قد عشقها والقلب لا يعشق إلا مرة واحدة.

والمتتبع معنا لهذه القصيدة يرى قدرة الشاعر على المعنى مـــن قـــوة اللفظ مما تجئ به نفسه وما جسده لنا من وصف مرئي وكأنه يرسم لنا تلـــك الفتاة بالريشة والألوان فلم يترك دقائق أمورها الظاهرة والمدفونة كالصفات الحسية كذلك نلاحظ تداعي الصور الحلوة التي استطاع الشاعر أن يسكبها لنا بألفاظه القوية وهي الغاية في الروعة وبالتأكيد أن تكون هذه الموهبة الشعرية عند الشاعر قد أجرت قريحته بكثير من القصائد الجميلة والتي ضاعت دون أن تدون وهذه هي ماسة شعرائنا الشعبيين بسبب صـــعوبة العـــيش وتقلـــب الزمان وهم رغم ذلك قدموا لنا إرثًا ثقافيًا جعلنا نفخر به ونحافظ علـــى مـــا تبقى منه وهو القليل للأجيال القادمة.

حكاية سالم وسالمة

نشأ معًا في بيت واحد وتربطه جسور الود والمحبة بينهما منذ الطفولة وكبرت عواطفهما مع الأيام وتعاهدا على مواصلة رحلة العمر معًا. وحدد شكل البيت الذي يضم سعادتهما وأحلامهما اتفقا على طريقة تربية الأبناء وبارك الأهل هذه العلاقة. وعندما حانت منية والد سالم استدعى شقيقه وهو على فراش الموت وتعاهدا على أن تتم بعد موته مراسم زواج الأبناء وأكد الأخ الأصغر على موافقته ومباركته لهذا الزواج خاصة وهو ابن عمها يستطيع إنزالها من على الكرمود وهذه أعرافنا، وبعد شهور استدعى العم ابن أخيه " سالم " وإبلاغه بضرورة الرحيل للبحث عن عمل يجمع من خلاله مهر عروسه، فكان هذا البعد الأول عن المحبوب وكانت تجربة قاسية أخذ يرحل باحثًا عن العمل بعد أن استولى عمه على ما تركه له والده من أغنام بحجة أن والده صرف كل ما كان له أثناء مرضه وموته – رحمه الله – ولكن سالمة كانت تعي ظلم والدها لابن عمها ومساندة أمها لإشعال نار الفتنة بينهما، ولكن سالم لم يغب عن ذاكرة وخيال سالمة وكلما مرت الأيام زاد الشوق والحنين بين ضلوع حبيبته سالمة، ولكون سالمة جميلة فكانت محط إعجاب الشباب والشيوخ في القبيلة والقبائل المجاورة حتى أن الشعراء قالوا فيها أجمل أبيات الغزل. مما جعل الجميع يسعى لرؤيتها والاقتراب منها ولكن الأب كان يرفض بحجة أنه أعطى وعدًا لأخيه بزواجها من ابن عمها " سالم " وبينما فارس من القبائل المجاورة يلهو مع أقرانه شاهد سالمة بالقرب من عين الماء، وكان ابن شيخ يعرفه الجميع بكرمه وشجاعته أغاثه للملهوف فكان الحب من أول نظرة، حاول الشاب الاقتراب والتودد من سالمة لعله يحظى بقلبها ويتقدم لها فضاعت كل محاولاته دون جدوى بل وطلبت منه كرجل أن يتركها وشأنها لأنها تحب ابن عمها ولا ترى من هو أفضل منه لديها، لم يتحمل الفارس أن تصده فتاة

وهو الذي تسعى نحوه جميع الفتيات شعر بالإهانة وخسر المعركة وعدم البوح جعله طريح الفراش حيث افترسه المرض وأصبح يتدهور كل يوم، استدعى أبوه الكثير من الأطباء لعلاجه ولكن دون فائدة تظهر على حالة الشاب. تدخلت عمته وأخذت تحاول أن تسليه حيث تسرد أمامه حكايات عن أجمل الفتيات في القبائل المجاورة لأن العمة أدركت أن مرضه وراءه علاقة عاطفية وليس مرضًا حسديًا، وحينما أخذت العمة تسرد الحكايات وإعجاب الفرسان بسالمة ارتبك الشاب وزادت دقات قلبه وارتسم الخجل على وجهه هناك ارتسمت الابتسامة على وجه العمة.

فقد عرفت موطن المرض وعلاجه، وعلى الفور أبلغت العمة أخاها " والد الشاب " أعلمته بضرورة الإسراع من اقترانه بسالمة مهما كلفه الأمر وتردد الأب خاصة بعد أن علم أنها مخطوبة لابن عمها ويعرف الجميع ذلك ولكن العمة أكدت لأخيها أن المال قادر على إزالة كل الصعاب.

اختار الأب أفضل رجال القبيلة وأحضر معهم بعض شيوخ القبائل الأخرى المجاورة وقاموا بزيارة لوالد الفتاة، وبعد مراسم الضيافة تم فتح باب النقاش ولم يقاوم الأب إغراء والد الشاب في المبالغة في مهر الفتاة مما جعل الأب يوافق ويتناسى وعده لأخيه ولابن أخيه، وخوفًا من رجوع سالم مبكرًا تم الزواج خلال أسبوع ولم يصغ إلى توسلات سالمة والدموع المنهمرة من عينيها، طلبت المساعدة من بعض كبار القبيلة ولكنهم لم يستطيعوا أن يفعلوا شيئًا أمام إصرار أبيها وزفت إلى بيتها، ومرت شهور وعاد سالم والفرحة تملأ أعماقه، ولكنه في الطريق تقابل مع أحد أقربائه وأعلمه بما حصل لسالمة، حينها انهمرت قواه وعاد أدراجه وهو يردد هذه الأغنية :

اللـــي مـــو غنـــي بالمـــال

قدامـــه اولافـــه يواخـــذوا

الكـــرم

الليبيون كرماء بالفطرة جريًا على تقاليدهم، أحدهما يوقد النار أمام خيمته حتى تكون منارة يهتدي إليها التائهون في جوف الصحراء، والآخر يكرم ضيفه عن طبيعة توارثها عن أهله، وقراء الضيف فرصة يسعى إليها الجميع، إذ يعتبرونها فرصة لإظهار أصالة الكرم في نفوسهم لما لها من حسن الذكر وذيع الصيت، وقد يبالغون في الكرم حتى على حساب ضرورتهم من العيش؛ لأنهم يرون الضيف من خلال منظور القدسية، لذلك يستضيفونه ثلاثة أيام وهم يقولون لك حق الضيف، قد أبلغني أحد شيوخ البدو في الصحراء أن الضيف في المدينة قد يجد بسهولة أماكن للضيافة بمقابل مادي ولكن الصحراء لا يوجد فيها أماكن إيواء مدفوعة الأجر، لذلك يعجز الإنسان على الاعتماد على نفسه، وهنا يتدخل العرف السائد لدينا وهو ضرورة اعتماد الفرد على الآخرين وعليهم تقديم يد العون والمساعدة عن طيب خاطر، كذلك لا ننسى أن هناك خرافة متداولة بيننا مفادها أن بعض الضيوف يحملون معهم قوة غامضة قد تلحق الضرر بالآخرين، لذلك علينا استرضاءهم فقد يكون أحدهم لديه عين شريرة يكون مفعولها أكثر من السحر، من حيث إلحاق الإيذاء بالمضيف، فلابد من استرضائه والاهتمام به حتى لا ينزل لعناته على سكان الصحراء، لذلك نجدهم لا يتأخرون في تقديم يد المعونة للسائل وهي صفة السرعة، حتى المرأة في الصحراء قد تكرم الضيف في غياب بعلها وتذبح له أفضل ما عندها وتقدم له واجب الضيافة، وهي تعني أن بعلها سيقوم بشكرها على صنعتها هذا.

لذلك نجدهم يوقرون الضيف ويقابلونه بالترحيب والسعادة وكأنهم يطلبون منه ما هو في حاجة إليه، حتى الفقير كان يجيد إكرام الضيف حسب

إمكانياته وهو يقول له : " الجود من الموجود "، فقد ينحر آخر أو أفضل ما عنده لكي يشبع ضيفه قال أحد رجال الصحراء إن والدي كان يوقد النار ليلاً بالخشب المعطر. فقلت : ما الداعي لذلك ؟ قال : يرى أن الرائحة العطـــرة مع الدخان قد يهتدي بها العميان قبل المبصرين إلى جواره أو مكانه. وكـــان الآخر يترك كلابه تنبح عسى تجلب لهم ضيفًا يكون تائهًا في الصحراء.

فالكرم في بلادنا يدخل البهجة والسرور حتى إننا لم نعد نعرف من هو الأسعد الذي أعطى أم الذي أخذ ؟

البداوة

يعتبر المجتمع الليبي في أغلبه مجتمعًا بدويًا، والبداوة لا تعني التنقل بحرية عبر أرجاء الصحراء الواسعة بقدر ما يتضمن هذا التجوال حقيقة التكيف العقلي والبشري مع بيئة في غاية القسوة، فتراهم يرتحلون بأسرهم وقطعانهم وبيوتهم ومعداتهم بحثًا عن مصادر الماء ومواطن الكلأ، وهم بذلك لا يتغربون عن غيرهم، بل تجد لهم علاقات وثيقة مع سكان القرى والمدن المجاورة لهم؛ لأن صعوبة الحياة تجعل من المستحيل الاعتماد على أنفسهم فهم في حاجة إلى خلق جسور التعاون والتبادل فيما بينهم، ولذلك تكون المقايضة هي اللغة السائدة، فهم وإن كانوا مصدر الثروة الحيوانية والصوف فهم لابد أن يصبحوا في حاجة إلى الملابس وبعض المواد الغذائية الضرورية لهم.

القبيلة

إن سهولة التنقل وبساطة بناء العلاقات الاجتماعية في البيئة الصحراوية جعلت البدوي صاحب القيادة لشعوره بالعزة وعدم اعترافه بسلطان عليه، لذلك لابد أن يكون هناك شيخ ورؤساء للعشائر في القبيلة قادرين على استعمال القوة وإخضاعه طواعية لأوامرهم وتعليماتهم، وإن كان عليهم ملاحظة التودد له بين الحين والآخر، وبالرغم من أن المجتمع البدوي لا يعطي أهمية للفرد لأنه يلحقه بالأسرة ثم البطن والقبيلة ، وتعتبر الأسرة هي المدرسة الأولى للبدوي، وهي أيضًا المسؤولة عن سلوكيات أفرادها، والقبيلة هي مجموعة العشائر التي تربطهم قرابة الدم حيث يعتبرون منحدرين من جد واحد ولهم الأهداف الواحدة ويقطنون المكان الواحد ويشملهم الولاء لقبيلتهم ويتمتع أفرادها بالواجبات والحقوق المشتركة حيث الموارد، المراعي وآبار المياه، ولكل قبيلة سمة تتميز بها حيواناتها عن القبائل الأخرى وراية تحمل رمزًا للقبيلة، وكلمات وشعارات متفق عليها بين أفراد القبيلة تعني أجراس الخطر المواجهة للعدو القادم.

شيخ القبيلة

كان لابد لاستمرار الحياة البدوية من وجود شكل من أشكال الحكم؛ لأن البدوي له إحساس بالتفرد وإيمان بالمساواة، لذلك لا يخضع بسهولة لقيود الحكم، فلا تتحقق هذه الوسيلة إلا بواسطة شيخ القبيلة، يعاونه مجلس من شيوخ القبيلة أو رؤساء البطون بها، رغم أن الشيخ لا يعد مستبدًا برايه، بالرغم مما يمتلكه من سلطات داخل نطاق العرف القبلي، لأن عليه أن يحقق سلطانه بما يتمشى مع مصلحة القبيلة أولاً وله صفات لابد من توفرها منها أن يكون حليمًا، وجلدًا ومتواضعًا ثانيًا كذلك عليه أن يلتزم برأي القبيلة والمتمثل في مجلس العشائر الذي يساعده في الحكم وقد يورث الشيخ رئاسة القبيلة إلى أحد أبنائه إن كان فيهم من لديه مؤهلات القيادة وفي حالة عدم رغبة القبيلة يتم استبداله بآخر من أسرة القبيلة.

صفات شيخ القبيلة

هناك صفات حميدة يجب أن تتوفر فيمن يتقدم إلى الرئاسة منها أن يكون كبير السن، ويتميز برجاحة العقل، مع توافر الجد والشجاعة التي تتحكم فيها الحكمة والحذر، وكذلك في توفر الثروة ليتمكن من إبراز صفة الكرم لضيوف القبيلة، ومد يد العون لمن يحتاج من أفرادها، كذلك لابد أن يكون حازمًا في العدل، كذلك عليه أن يكون في مقدمة الصفوف في حالة الحرب، وغالبًا ما يتمتع بالحلم حتى يحافظ على وحدة القبيلة، ورغم كل هذه الصفات إلا أن الشيوخ لا يختلفون عن بقية أفراد القبيلة في زيهم وحركاتهم وإن كانوا في العادة أكثر عقلاً ودراية بدروب الحياة، وقد حملتهم السلطات التركية مهمة جديدة تضاف إلى مهامهم هي جمع الجبايات على أفراد القبيلة ليتم دفعها إلى السلطات التركية.

المرأة في البادية

والمرأة في البادية كانت تتمتع بحرية أكثر من قريناتها بالمدينة، فهي تتنقل مع بعلها أثناء ترحاله بحثًا عن مواطن الكلأ والماء، وكانت تشاركه أفراحه وأحزانه فهي تنظم الشعر وتتبارى مع الرجال أمام أفراد القبيلة في ذلك، حيث كانت هذه المزايا معدومة لدى المرأة في القرى والمدن، فهي حبيسة البيت لا تغادره إلا نادرًا، وهي ترتدي العبأ حتى لا يراها الآخرون وإن طلقت المرأة في المدن أصبحت وكأنها ارتكبت ذنبًا يعاقبها المجتمع عليه، وقد لا تتاح الفرصة لها ثانيًا للزواج، أما في البادية فالمرأة المطلقة لا تحتقر، بل تحترم، وقد تجد لها بعلاً بسهولة ويسر.

تصديق شهادة المرأة

إن المجتمع البدوي يقدر مكانة المرأة لدورها المهم في حياتهم، فتقبل شهادة المرأة في حالة الاعتداء على النساء دون الحاجة إلى أدلة أو شهود يؤكدون ذلك؛ لأن التقسيم البدوي أعطي المرأة الحق في التنقل والتجوال في أداء مهمتها في نقل المياه واستحلاب الحطب، وهي وتيرة من المهام الشاقة، لذلك فهم يرون أن شهادة المرأة لا جدال فيها لأن ذلك في نظرهم يعتبر تهديدًا للنظام القائم بين علاقة الرجل والمرأة وإن التهاون في تطبيق العقوبة الرادعة على الجاني يمنع المرأة من أداء دورها المطلوب منها.

الزواج في المجتمع الليبي

هناك سمات متقاربة في قضايا الزواج تشمل الأسرة العربية بصفة عامة ترتكز على القيمة الأساسية وهي عفة المرأة مع ضرورة إخلاصها تجاه الحياة الزوجية، على أن يقوم الآباء والأمهات بلعب دور أساسي في قضية الزواج؛ على اعتبار أن هذا الزواج هو اتحاد بين أسرتين أكثر من كونه علاقة مقدسة تربط بين فردين، كانت ومازالت الخطوط الحمراء للفتاة هي فقدانها لعفتها الذي يعرضها لعقوبة صارمة يفرضها الوالدان وتختلف من الطرد إلى الموت أحيانا؛ لأن المجتمع الليبي لا يتهاون في تحريم خيانة المرأة فلا يعتبرها إهانة موجهة إلى بعلها بقدر ما هي إهانة للأسرتين ما دام الزواج يعني عندهم اتحادًا، ولأن الزوج يرى أن كرامته وشرفه هو شرف الأسرة، لذلك فزوجته تعد عرضه الذي يجب أن يذود عنه حتى الموت، لذلك كثيرًا ما كانت توعد الفتاة للشاب في مرحلة مبكرة من العمر مما يجعلها تقع تحت مراقبة أسرتين وكانوا يعتقدون أن نمو الفتاة وتجاوزها سن الطفولة قد يجعل لها خصوصية في الاختيار أو الرفض لديهم.

تربية الأطفال

أما عن تربية الأطفال فقد تكون هناك سمات متشابهة في نوعية التربية بين المدن والبادية باستثناء اختلاف البيئة ونوعية التكليفات المطلوبة للأطفال أداؤها، فإن كان الطفل في البادية يلحق بوالده بعد تجاوز السابعة ليشجعه على ممارسة أعماله ويعوده على طبيعة حياته ويحرص على مخالطة الرجال، في حين نجد الفتاة تساعد والداتها في خدمة الخيمة ورعاية الحيوانات، وعند بلوغ الطفل الثانية عشرة يلحق الفتى بمجالس الرجال لتعليم مسالكهم في دروب الحياة، وفي السادسة عشرة يتزاوج الفتيات الفتيان ويمارسون حياتهم ويتحملون مسؤوليتهم في إطار الأسرة والقبيلة، وهكذا تأخذ الحياة دورتها الطبيعية عندهم.

القصاص

حتى الملامح الرئيسية في المجتمع البدوي هي تحميل الأسرة والقبيلة مسؤوليتهم عن سلوكيات أفرادها، فإذا ارتكب الفرد خطأ يخضع إلى حكم الجماعة لعقاب المجني ، فالقصاص على الأخطاء يفرضه المجني عليه لما تعرض له الجاني عليه، وهذا ما يؤكد ما ورد في القرآن الكريم ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ صدق الله العظيم، ويرى البدوي أن القصاص بمثابة الرادع لجرائم أخرى، كذلك يعتبر إرضاء للمجني عليه وعدم دفعه إلى الانتقام مما يلزم قبيلة الجاني بأن تدفع الدية بما يتناسب والضرر الناتج عن المجني عليه، وحيث هو نظام متوافق مع البيئة التي يعيش فيها البدوي من حيث عدم توفر مراكز للشرطة وسجون لمعاقبة الخارجين، لذلك لا يسمح المجتمع البدوي الخروج على العرف السائد الذي يحقق التوازن والتوافق في الروابط الاجتماعية بين المجتمع الصحراوي لذلك يكون الجور في العقاب لإرضاء الضحية وأسرته وقبيلته انطلاقاً من العزة والكرامة من ضروريات الحياة الصحراوية حتى لا يصبح الانتقام والثأر هما اللغة السائدة في العلاقات الاجتماعية.

بيضة رخامي

تزوج الشاعر المرحوم " صالح بومازق الرفـادي " شـقيقة الـشاعر المرحوم " امبارك القطعاني الرخامي "، وحدث ما عكر صفو الحياة الزوجية بعد مدة من خلاف ما فأرسلها وبعث إلى صديقه قائلاً في قالب من الطرافة والمداعبة :

غشوني بهـا غـش اليهـود خبـاث الجـدود

عطـوني زنـد فـي الرفـق مـا يجـود

غشوني بها غش الذهب بالنحاس خباث لنجاس

علـيهم القـول الـردي مـوش بـاس

حتى المجينه لو لبسوها لباس بـدا مـا تجـود

يبيـد اصـلها ترجـع هـي العـود

ولكن سرعان ما رد عليه شقيقها الشاعر امبارك القطعاني قائلاً :

راجلاً جيـت لا جـاك جـود فـي كـل هـود

تهـاجي مهاجـاة راعـي القعـود

مـيش للغبـا قاعـده للـشهود مزنـة رعـود

دليـف سـيلها سـمر اللـي رقـود

ميش للغبا وايش غبــاك فيهــا تــشالي بــديها

العيبـــــه بعـــد قـــول زاهــــد تجيهـــــا

بيضه رخامي هي مقتصه وانت ضــراب رامــي

في الخطمة سريعة والعيون ســود والبيـــع

الحكاية الشعبية

من خلال بحثنا في جمع المأثورات الشعبية ومقابلتنا لبعض الرواة وجدنا اختلاف قدراتهم على سرد الحكاية الواحدة لأكثر من رواية، وهذا طبيعي بحكم مرور الزمن على سماع الحكاية وطاقتهم على الحفظ والتذكر، ومن ثم يتحكم الراوي بالإضافة والحذف حسب نوعية الجمهور المتلقي للحكاية فإن وجد الراوي الإقبال والتشجيع للاستمرارية فقد يبدع ويضيف على الحكاية من أسلوب عرضه وتشويقه للمستمع الذي يتلهف لمعرفة بقية الأحداث. لذلك تتعرض القصص باستمرار للتغير ولكن حجم هذا التغير وأهميته يختلف باختلاف عناصر التغير، فإن كان هذا التغير يشمل الأمكنة والأزمنة وبعض الأحداث من نص الحكاية أو استبدال شخوص الحكاية، فقد نرى أن ذلك قد لا يؤثر تأثيرًا جوهريًا من مضمون الحكاية، ولكن إذا شمل هذا التغير حبكة الحكاية أو ترابطها ومنطقية التسلسل أو التدخل في النهاية أو البداية وهذا عادة ما يتم حيثما تنتقل الحكاية من فرد إلى آخر أو من مجتمع إلى مجتمع آخر حيث تؤثر بيئة الراوي وثقافته في تشكيل مضمون الحكاية، مما يجعلنا لا نستطيع أن نعتمد النص الشعبي باعتباره هو الرواية الأصلية دون غيرها، ويمكننا أن نعتمد عليها وهذا ما يعطي خاصية الحيوية على حكاية النص الشعبي لكونها تمتاز بالمرونة وتقبل الإضافة والتعديل. بينما الأنواع الأدبية التي يعرفها أصحابها تظل على حالتها التي أبدعها أهلها دونما أي تعديل وترتبط بهم، رغم أن لكل منهم ظروفه فإن كان الكاتب أو الشاعر قد يبدع إبداعه وهو في مكان منعزل عن الناس، بينما الحكاية الشعبية أو القصيدة لا يمكن أن تكون بعيدة عن الناس، فلابد أن تلقي بحضور مستمع.

عندي صاحب

يقولون أن كان فيه اثنين رفاقة رفقة أجـواد يعـزوا علـى بعـضهم ويصبوا البعضهم وما بينهم إلا ما حرم الله رغم أنهم ما همش علـى قـيس بعضهم، واحد كبير ولآخر صغير لكن ركبين على بعضهم.

يوم قال الكبير للصغير : يا فلان إيش تعد على رد الصغير وقالـه : كانك فيه حاجة مزعلتك مني ياخوي قولي.

رد الكبير : لا سامح الله .

قال الصغير : ما لا إيش تقصد بها السؤال.

ضحك الكبير أمغير وسع بالك ماتفرغش قبل الزغروتة.

قال الصغير : والله بالي واسع لكن حسك شغلتني ياخوي أقصد راس حاجتك الله يربحك.

قال الكبير : تريد الحقيقة رد علية وفيه حاجة غيرها، رد الصغير.

قال الكبير : حال غايتي أريد منك طلب .

قال الصغير : دوختني يا راجل أنت تأمر وأنا انفذ موش تطلب مني.

قال الكبير : أريد أمك ؟

الصغير : وإيش تريد منها.

الكبير : أريدها على سنة الله ورسوله .

طبعًا الصغير بوه ميت وامه مازالت درس اجواد.

انعزل الصغير ع المكان ودنقر في الوطى، وبعدها رفع راسه لاخــوه وهو يضحك ويقوله : انقولك عندي راي خير من ها الرأي تسمعني.

قال الكبير : وذني لك.

رد الصغير : انعطيك اختي صغيرة وسمحة وتقيم الحوش، وبعــدين بوي ميت وانا هو اللي هانك ولاحد يريد اسالني فيها.

قاله الكبير : تريد الصادقة، حال غايتي في امك لا اختك مــانيش غابي فيها.

قاله الصغير : امدامين هذا هو الموضوع، وسع بالك وعطيني فرصة لان أنت عارف امي ما نقدرش نوجهه دغري ونقولها افلان ايريدك انت ما تريدش اتوري هناك قناع من الحشم بينا، خليني أندور طريقــة نفــتح بهــا السؤال معها، وانكان عندها رغبة في الزواج ما ريد نلقالهــا خيــر منــك، وانكان ما هي راغبة، الله غالب عليّ وعليك.

قال الكبير : كفيت ووافيت ياولد لجواد وانا راضي بالحكم اللي تقوله امك اوراة هالموضوع ما يغير من الود بينا شيء.

قاله الصغير : هذه عد من غير قولك معروفة. قعد الصغير يدور في طريقة يكلم بها امه دون مايشيل اقناع الحشم بينهم، وبعد شهر كــان يــوم جمعة وكان الغذاء كسكسو ودنت أمة اعدالة الشاهي واخته تباعــدت عــنهم تغسل في العوايز، بحت الصغير وقال في عقله : انقانها مواتية وكما يقولوا

ان قابلــــــــــــــك عـــــــــــــون ذري

مــــــا فـــــي الموانـــــة خيـــــرة

وان مـــــــا قبلـــــــك عــــــون خـــــالي

تبنـــــــــه مغطـــــــــي شـــــــعيرة

بعدها فكر شوي وشجع نفسه وانطلق في مشوارة وقال : يمي اريـــدك في موضوع حال غايتي ناخذ رأيك فيه.

ردت عليه امه وقالت : نسمع فيك اربح في مشوارك.

سقم قعدته وجهه كلامه لها وقال :

عنـــــــدي صـــــــاحب يعــــــز علـــــــي

واتـــــــا واجـــــــد انعـــــز عليـــــــه

طلــــــب ليمنــــــة مـــــا هانــــــت علـــــى

عطيــــت ليـــسرة مـــــا ســـدت عليــــه

طبعا لبمنـــة هـــي امـــه وليـــسرة هـــي اختـــه

دنقرت ام البيت راسها وبعد فترة ضحكت وقالت : اسمع يا ولد.

انصاحبت صاحب صاحبك وافيلـــه

وما عمر صاحب صاحبوه بحيلـــه

والصاحب يا جنيني يخــش النــار

فـــــي شـــأن صـــاحبه يـــاعلم

ضحك الولد وقال لها : مبروك ... وقال لصاحبه : عدى اطلبها مـــن خوتها ... وافقت مبروك.

صيد عمره ما جابه صياد

يقال عن هذه القصة قد وقعت في الجزء الشرقي من بلادنا وبالتخصيص في المناطق الصحراوية التي تقع في أعالي مدينة درنة.

حيث يقال إن هناك صيادًا اعتاد على الخروج ليلا لصيد ما يقابله في الصحراء الليبية المترامية الأطراف، هذا الصياد يجيد القنص ليلا ويحدد هدفه بناء على مصدر الصوت الذي يأتي إليه من مكان الفريسة فيصوب فوهة بندقيته تجاهه، وغالبا ما تنطلق الرصاصة لتسكن في مكان الصوت وليحظى بصيد ثمين يختلف باختلاف الليالي، فتارة يكون غزالاً وتارة أخرى يكون الصيد أرنبا بريا أو صيد ليل، وكان الصياد يلتقي مع ابنه الأكبر كل ليلة على العشاء قبل مغادرته للصيد حيث اعتاد الابن أن يسأل أباه : بوي زعمه وين وجهتك الليلة.

يخاطبه أبوه وهو يعد سلاحه وناقته للرحيل : جهة الشرق.

حيث يمد ابنه الأغنام ليلا في الجهة المعاكسة، وعادة ما يطيب للضأن أن تسرح ليلا لتأكل العشب وقد بدا لها ندى وطيب المذاق، واستمر الأب وابنه على هذا الحال يتجهان عكس بعضهما خوفا من التلاقي فتحدث الكارثة في جنح الليل رغم كبر مساحة الصحراء وهدوئها.

واجتمع ذات ليلة وتحدث الاثنان في مواضيع شتى وتبادلا أطراف الحديث وانتهى اللقاء بينهما دون أن يذكر الابن لأبيه سؤاله المعتاد وغادر كل منهما إلى وجهته على أمل اللقاء مع إشعاعات الفجر في مكان إقامتهم، وارتحل الأب بناقته واختار مكانًا يختبئ فيه مترصدا للصيد، ولكن هذه الليلة طال انتظاره، ولم يسمع أدنى حركة بجواره فأخذه النوم دقائق، ولكن حركة

ما أيقظته من نومه واخذ لها وضع القنص بعد أن حدد مكان الصوت من مصدره واستنهض قواه وتأكد من مصدر الصوت وضغط بإصبعه على الزناد فانطلقت رصاصة وبمجرد انطلاقها صدر صوت استغاثة فعرف الصياد أن هدفه لهذه الليلة إنسان فانطلق مسرعا نحو الهدف وكانت المفأجاة غير المتوقعة أن يجد ابنه يلفظ أنفاسه الأخيرة، احتضن الأب ابنه وهو يبكي ويطلب مسامحته حيث وضع الابن إحدى يديه على قلبه وبدا قميصه مبتلاً بالدم المندفع من مكان الرصاصة واحتضن والده باليد الأخرى وأخذ يقبله وهو يقول له : لا عليك هذه إرادة ربنا هون على أمي خبر ما حدث، أما أنت فرجل هذه المواقف. سامحني أطلق الشهادة وغادر الحياة وهو مبتسم.

صرخات صدرت من الأب أيقظت هدوء الصحراء في هذه الليلة، حيث رد عليه الصدى الذي أيقظ عقله فقال : لا إله إلا الله محمد رسول الله، حس بجسم ابنه بدأت تغزوه البرودة خلع جرده ولفه به وبرك ناقته وحمل ابنه وعاد أدراجه راجعا إلى زوجته التي كانت كعادتها تنتظر قدوم الاثنين بفارغ الصبر، كل ليلة تذوق فيها طعم المعاناة والانتظار ترسم على وجهها الذي حفرت السنون عليه تجاعيد عناوين الفرحة بعودة أحدهما يسبق الآخر بفترة وجيزة، لم يستطيع الأب مواجهة الأم بما حدث فترك ناقته بعيدة عن بيته وترجل نحو زوجته التي بادرته قائلة : ماذا جبت لنا الليلة ... بدا الأب جادًا وهو يقول لها : الليلة جبتلك صيد عمره ما جابه صياد. ردت الأم قائلة : هذا ما هي غريبة عليك كل من في النجع يشهد لك امغير قولي ...! الله يربحك زعمة غزال خليني نفرح ونوزع على صبايا النجع وأنا فخورة بيك ... بدا الرجل جامدا أمامها وسكاكين تقطع أحشائه وهو يقول : الليلة عندي شرط عليك .. حال غايتي انتفذيه .. قالت : أنت امغير ادلل .. إيش أتريد وأن نديره. قال لها · أريد قدر وهو الإناء الكبير للطبخ عمره ما طيب فيه مناب وهو مناسبة فرح أو عزاء ... قالت له : وشنو السر في ها الطلب ..!

قال لها نفذي وبعدين تعرفي كل شيء .. قالت : حاضر اساع نمشي انجيبه على بين ما سلخت صيدك ووتينه لي.

أخذت المرأة تجوب بيوت النجع تسأل النساء عندك قدر وكانت القدور كبيرة الحجم تصنع من النحاس. ولكنها استقبلت في تلك الليلة بنفس الإجابة عند قدر ولكن درنا فيه مناب فلان ... وحدة تقول : مناب بوي ... وأخرى تقول مناب راجلي ... ولأخرى تقول مناب أمـــي ... رجعــت الأم دون أن تحظى بمطلبها وقالت مخاطبة بعلها : تعرف يا فلان كل قدور النجع مديور فيها منابات ... رد عليها الرجل وقال لها : يعني كل النجع على كلامك ذاق الموت ... وايش خاطر هالكلام ... الموت حق واللي أخف رحيله يرحل .. قال لها : عدي اماله بركي ناقتك ونزلي حملها وحكمي أمرك الله.

قصيدة بونجامة

كثيرا ما يواكب الشعر الشعبي قضايا المجتمع وما يطرح فيه فيتناول الظواهر الاجتماعية ويسلط عليها الضوء بالعفوية التي يمتاز بـه الـشعر الشعبي دون أن يلجأ إلى الألفاظ القاسية أو يتحول إلى منبر وعظي وإرشاد مما يفقده ذلك خاصية التأثير والتأثر بالآخرين. وعنـد هطـول الرحمـة والخير من السماء تبدأ مشاكل حرث الأرض وأحقية كل منهما وتتسبب كل عام في زهق أرواح وإلحاق الأضرار بين الأهل والجيران، وهذا الـشاعر أبو بكر رابح من شعراء أجدابيا يوظف الشعر لمعالجـة هـذه الظـاهرة بأسلوب ساخر قد يلجأ فيه أبناء البادية بالاستعانة بأفراد أسرتهم المقيمـين في المدينة لمناصرتهم حتى وهم بعيدون عن دائرة الاسـتفادة مـن هـذه الأرض والأسلوب الساخر وسيلة يتخيرها أغلب المبدعين والكتاب الكبـار حينما يواجهون ظاهرة أو مشكلة يجدون من الـصعوبة القـضاء عليهـا بالمباشرة، وقد اتخذ ابن المقفع هذا الأسلوب في طرحه في " كليلة ودمنة " ودافعه حينما لجأ إلى طرح الخير والشر واستعمال الحيلة والخدعة علـى ألسنة الحيوانات، وقد تطرق لهذا الأسلوب العديد من شـعرائنا الـشعبيين، ونحن نبين هذه القصيدة كنموذج يحتذي من الشعراء الشباب فـي بلادنـا، وتحكي هذه القصيدة عن شيخ مثقف واعٍ عاش عمره كلـه فـي المدينـة وتَتطبع بطبائع أهلها، وكيَّف حياته على الأسلوب الحضاري وكان محـط إعجاب الآخرين من خلال أسلوبه في الحياة وقناعته بالرضا بالقليل، ولكن أبناء عمومته لا يتركونه في حاله بل يذكون فيه شعور القبيلة وضـرورة الوقوف معها حتى على الخطأ ويقحمونه في مشكلة ليجد نفسه دخل معركة لا ناقة له فيها ولا جمل ، ويتعرض لمواجهة بشر غير مثقفين، ويعـرض

حياته للخطر، وهذا ما يعرضه لنا الشاعر في طرحه لهذه المشكلة حيث يختار أسلوبًا غاية في البساطة، وتمتاز بروعة في الطرح، ونتتبع القصيدة وكأننا نشاهد شريطًا سينمائيًا له بداية وعقدة ونهاية مأسوية.

القصيـدة

شايب يلبس في باجمة

ما يلبس في جلبية

في داره جوي حمامة

متمنجهة مية في المية

ومنظم ساعات طعامه

معظم وجباته مشوية

داير جو للانسجامه

عايش عيشة رومانسية

قانون وداير نظامه

يشرب قهوة كل عشية

كناري يغرد قدامه

نغمة صوته موسيقية

دايرحوض اسماك بحجامه

يختلفن بالوان بهية

شايب عاش ايام دلالة

ما في عمرة دار قضية

ما بين أوراقه وأقلامه
مثقف وأفكاره حية
عند لضيف ابتسامة
له رحاب بجد ونية
لاهوم الناس الجلهامه
ولاهو من الناس الحسدية
ولاهو كيف أولاد عمامه
قلة دين ومشكلجية
جاة امراجع بونجامة
بن عمه من نفس الفية
وقال راهو فيه خصامه
في جيهة لأرض الفواقية
من عند القارة من غادى
من شرقي مقلب لأمية
من عند علوي الحمامة
لا عند قارارات هنية
راهم جوها عيت سلامة
وبتنا نحن برنيا
من ع الرأس عزق لعمامة

واطلع من جيبة كمية

نبوا يوم يحد غمامة

يرجو في الكبانية

شال الشايب في برامة

وقله فز نعندوا هيا

في تيوتا حط احطمة

هلكس وفيها بتية

خبزة وشولات اقطامه

وجروبين واعجمية

قبل الليل يعم ظلامه

وصلوا للأرض المغزية

يبو لزة عيت سلامة

قبل الفجر يعلم ضية

ردة لأرض ورد كرامة

هن هذين أسباب الجية

تم الشايب في دوامة

ما في نيته يبي اجاية

تمت قدامة توالي

طلق اصنام الجطلوية

ليلة كحلم الجثامة

كم جثة تمت مرمية

ليلة فيها عيت سلامة

دالو لأرض بعين قوية

خلو عيلة بونجامة

يجاروا فاتوا الحطية

لزوهم تما يتحمى

شايبن بشماسية

نين اغلب في شيل

اقدامه عارف روحة

راح ضحية جاه

واحد شين انتقامه

قاسي ما عند حنية

متعضد ياقو جهامة

تقتل لو قوي بونية

راح الشايب هو أحلامه

حصل دعكة في جوجية

طاح يعط من صمامه

تما كيجثة مرمية

سبحان ربي و اقسامه
ماينجي لولا رعوية
لاقيوه يشير بإبهامه
يطلب في نجدة فورية
في المستشفى تم اختامه
ماواعي للي طرحيه
وماناجي م الكسر أعظامه
دارو له كم عملية
تبع رايات الهدامة
غروا بيه انسى ماضيه

قصيدة عظيم إيمانك

للشاعر الكبير عبدالسلام بوجلاوي

كل منا عرضة بأن تصيبه إحدى نوب الدهر وهي امتحانات من الله لقياس مدى إيمان الشخص المتعرض لها وعلى قدرة التحمل والصبر يكون الجزاء والثواب من الله العلي القدير، وحينما يتعرض شخص لنكبة من موت أبنائه الاثنين في وقت واحد ولا يملك من الذكور غيرهما تكون صعوبة امتحان الأب لهذا القدر المحتوم عليه فيتمالك نفسه ويواجه القدر بالصبر على المصيبة وقد لا يكون المتعرض لهذا الامتحان شخصًا شاعرًا بإمكانه التعبير عما يجش به خاطره أو ما يدور في خلجات نفسه حيال ما تعرض له، وقد تكون المصيبة اكبر وعدم البوح بما يدور في صدره قد يكون له الأثر المؤثر في نفسه ولكن الإيمان بالله يكون هو الدواء لما يشعر به الشخص المصاب، وقصيدتنا هذه تتناول هذه المشكلة، فقد تقبل المصاب الخبر ووقف شامخا أثناء العزاء رغم فقده ما يعتقد أنهما سنده في هذه الحياة حينما يصل لمرحلة الشيخوخة، وهم من سيحييان أثره بعد مماته ويتوليان أمور والدتهما وإخواتهما في معترك الحياة الصعبة ولكن تلك هي مشيئة الله ولا يعترض عليها سوى من يفقد الرحمة من الله، فهذه أمانة أعطاها لنا وعلينا ألانزعل حينما يطلبها، فهو صاحب الحق فيها، وبعد انتهاء مراسم العزاء وبين اليقظة والمنام خطر في مخيلة الرجل راس بيت لا ينطلق إلا من شاعر يملك ناصية الشعر، ولكن ما حدث أن هذا الأب لم يكن يوما يقول الشعر ولكنه قد قال بعد ما تعرض له من نكبة، وحينما سُمع البيت تأثر به الآخرون لما احتواه من إيمان راسخ بالله في صورته ومضمونه، وحينما تم

عرض البيت على الشاعر الكبير عبدالسلام بوجلاوي تأثر به وسيطرت عليه حالة الأب وما قاله في هذا البيت حيث وجد نفسه منسابًا في رسم ملحمة إيمانية له ولغيره مما يتعرضون لنوائب الدهر بشكرهم فيها على قوة الإيمان ويذكرهم بما ينتظرهم من الله من الثواب والجزاء لما يحملونه بصبرهم وإيمانهم على المصائب ويحول الشاعر الكبير عبدالسلام بوجلاوي الألفاظ إلى صور إيمانية وما سيناله الأب والأم من ثواب من الله على صبرهم ويذكر بأن الأبناء قد نالوا الصيت الذي يقولون أطول من العمر ما سيناله الأب والأم من الثواب ومن الأمكنة العالية في الجنة الخالدة التي وعد الله بها الصابرين، ويتطرق إلى الدنيا ويؤكد أنها دار فناء لا دار بقاء، وأن المؤمن معرض فيها للكوارث والمرض والفقدان وأنه لا ينال البقاء والخلود في الجنة سوى الصابرين على نوائب الدهر. ويجب علينا ألا ننساق إلى سهول هذه الدنيا الفانية فمن يملك اليوم قد لا يجد فيها غدا مكانًا يأوي إليه ومن يصب فيها اليوم بالتخمة قد لا يجد غدا ما يسد به رمقه وإننا متساوون في التعرض لنكباتها ولكن بدرجات متفاوتة كتفاوت، الصبر والجزاء عليه وأن ما يعمر اليوم سيكون غدا أطلالاً تدل على ماض سحيق، وأن كل منا متعرض فيها لتجارب قد تكون أحيانا مليئة بالسعادة والفرحة وأحيانا أخرى مليئة بالتعاسة والمرض والحاجة، وما على الإنسان إلا أن يتقبل ما يتعرض له، ويعرف أن الدنيا رحلة قصيرة، وإن الحياة والدوام في الآخرة حيث يجري كل منا على ما عمله في دنياه، وما تناوله شاعرنا من ألفاظ وصور غاية في الإبداع مع سهولة القافية التي تناول بها فكرته رغم صعوبتها على الآخرين وهذا ما نطلق عليه السهل الممتنع.

وقد قال الأب البيت التالي :

حامل قضاءه وطعنته السديدة

حتى وهي تماضت في كنيني بيده

القصيدة

عظيم ايمانك امتحانك الله ونجحت في امتحانك

علـــــى طعنيتيـــــــن اصـــعايب صـــابر يانـــك
لحرجـــك لقيـــــت الـــصبر خيـــر ضـــميدة
يعظم الله اجرك وفي ميزانـــك يخفف عليك الذنب يوم وعيده
اكفا من وسيع الفضل في حبانك يعفيك من عذابه والثواب يزيده
ولوعيب منك ولو خطأ لعيـــناك لابنك ولو بالغت في تمجيده
ولو زل فيه كلمة عليه لسانك له طباع بشهادة الغير حميدة
امراجع بزينة يشهـــــدوا جيرانك وناس من بعيد ومن قريب
حزانة عليه اصحاب كيف احزانك مانك امغير وحدك في تنكيدة
فـــالرفق والجيـــرة شـــهدوا لـــه عـــرب غيـــرك بقولـــه خيـــرة
ولكـــن تـــشيل ومـــاترد الـــشيـرة الموت حق ثابت والحياة زهيدة
راه شجاعة صبرك على الحكم اوراه من بلاة بفقد صاحب داعة
وقـــال مرحبـــة بـــاللي الله اريـــدة بنالـــه مكان عظيم في ارتفاعه
واطلق عليه الحمد في تشييده عمـــر لبنـــادم كاتبـــة بـــساعة
يطول ايقصر فيه موت اكيدة ولكن شعور اللي تضرر راعا
خصك الوالد في فراق اوليدة احياه وعطاه وكي خذاه بوداعة
لامة وبوة في جنة ضمن تخليدة وخصك اللي منهم بكل خشاعة

يسبح بفضل الله وبتوحيدة
وراه الدنيا للعجب صناعة

عادة لها من قبل مايش جديدة
غرورة ابمن يشقابها خداعة

ترقابا نصيب وعندها تهويدة
يجري شريط الخرابة بنواعه

نين يسحبه وتسير له تبليدة
وديمة بعد تلعيب له انقاطة

شوش وتسير لشاشته تسويدة
لكن الدنيا ما شريط إذاعة

انكان شوشت تتعس انفوس عديدة
تجعل اللي كانوا اشباع جواعه

وتحكم على الحرار بتابيدة
وتجذب وبعد اجذابها رجاعة

ودير ربيع وعندها تصهيدة
وصيف عشباها والزرع يبقى قاعة

وتحيد قاعته ويبقى مكان حصيدة
وانصام من جديد وعاد له زراعة

حبوب بذرته نفس ارزاق تعيده
وهذي الدنيا ضاحكة دماعة

ودودة وحسودة ولينة وشديدة
واحد امجرب عكسها وصراعه

ومعاني مكايد موش غير مكيدة
احيانا يكون م الهموم مناعة

انرد عليه لهن تكون ضديدة
عارف الدهر متغيرات اوضاعه

حتى لو مدحته مايميد ميدة
ومع زهوته وهناه ما يداعه

ولاشقاه يصعد مع تصعيدة
ولا يجرفة نسياق في اندفاعه

ولا عد باله يخاف من تهديدة
في يد احد واحد موش في يد

الارزق والأعمار
وما يصيب عبيدة

قصيدة الدايم الله ياعليان

قصيدة من القصائد الأولى في الشعر الشعبي في بلادنا

وهذه القصيدة تمتاز بخاصية تنفرد بها على مستوى الأدب العربي في كونها مرثية في شخص حي، والعادة أن المرثيات تقال بعد وفاة أصحابها، إلا إن هذه القصيدة قيلت في شخص على قيد الحياة حيث استمع المعني لرثائه وهو حي. وكانت هذه الخاصية الفريدة من حظ أحد شيوخ قبائلنا وبعد الاستفسار قيل لنا إن هناك بئر بالقرب من مدينة أجدابيا يحمل اسم عليان وإن كنت أرجح أن اسم عليان تردد في قبيلة الجوازي، ونمط الشعر قريب من شعراء الجوازي وخاصية شاعرهم المعروف " صبار "، وما يهمنا أن القصيدة قيلت في أحد مشايخنا الذي كان يتصف بعدة صفات جعلته من مقدمة المشايخ من حيث الشجاعة والكرم وفض المنازعات والسعي لعمل الخير وحماية الضعيف وغيرها من الأعمال التي يتصف بها الرجال الحقيقيون، حيث تعرض لامتحان صعب حيث أصيب بمرض جعله طريح الفراش لمدة أربعة سنوات كانت كفيلة أن تبعده عن دورة الريادي بين القبائل ورغم ذلك لم يفقد السيطرة على نفسه واستدعاء أخيه وكان هو أيضا كبير السن وشاعرًا يمتلك ناصية الشعر ويجيد نظم القوافي والارتجال أيضا، حيث طلب منه أخوه عليان الجلوس بجواره وبدأ الشيخ عليان حديثه قائلا له : العرب لاوله تقول " الداء انكان جاور قتل " وهذا داء مجاور لي أربع سنين ولا عد ينفع معاه دواء ولا جاب منا فقيهة وهذا ما دعني انقولك أني ما عد نقدر ننفع القبيلة ولا عد نركب الحصان ومن ها الساعة أريد نسلمك مسؤولية

القبيلة انكان عشت ولا متت أنت من اليوم مسؤول عن القبيلة لكن أريد نوصيك على جيران القبيلة وعلى الضعيف قبل القوي وعلى عدم ادورت الشر أثناء ذلك تنكر أخاه الذي يستمع للشيخ عليان المواقف الرجولية التي مرت بأخيه خلال عشرات السنين فسقطت دموعه وارتجل هذه القصيدة وأخوه عليان يصغي لرثائه وهو حي، حيث قال أخوه في القصيدة :

الدايم الله يا عليان … طايح أو فاقد صوبة
كرعية صفر وتقول عيدان … ويدة مايوسن انقابة
ولاعد يمشي للجيران … ولا جوة يمشو طرابة
ولايخاف من عين معين … ولا يوتنني في اطلابة
اللي عند لميار له شأن … ابجوي وصاحب نقابة
وله كتاب بالخير مليان … هو ديرة وهو من اصاحبة
واليوم منطرح ما تقول كان … الدنيا لها انقلابة
مرات تعمر بنيان … ومرات تبقى خرابة
ومرات ادير بالمزان … ويجي العلو قالب شرابة
تروى اللي كان عطشان … وتحط العذا في اصلابة
نبت ربعية نبت فدان … نوارة مسوى ضبابة
عليه النحل دير زنيان … تفاصل والزرع صابة
ومرات ادير بعثان … واريح ما لهاش رطابة
عيطاتة في كل وان … ما يعرفن امغير قول هابة

تـــزيح نـــاس وتـــزيح فرقـــان | بموالهـــــا ماشـــــي جابـــــة
وهـــي خيانـــه ومالهـــا أمـــان | ولا حطمهـــــــا ينـــــــشقابة
انظـــر بـــصرها فـــي عليـــان | اقريـــــب يفـــارق اصـــحابة
خالتـــه كمـــا حبـــل كتـــان | بأيـــــد وبـــــادن عرابـــــة
ولا عـــد يركـــب الجنجـــان | ولا يعـــــاط عـــيط جابـــــة

جاءت هذه القصيدة بلغة قد تقول إنها قريبة من الفصحى، وبحـق إن كان هناك قصائد خالدة في شعرنا الشعبي تكون هذه القصيدة في الريادة فقد حملت صورًا معبرة بألفاظ غاية في الإبداع والاختيار في كونها جسدت لنـا مسيرة أحد مشايخنا، وانتقلت للحديث عن الدنيا، العبر التي تؤخذ مـن هـذه القصيدة عديدة، فهي تبين أن الدنيا ليست دار بقاء، وأن الأيام بين كر وفر، بين مباهج الحياة وبين مصائبها، بين السلطة وفقدانها، بين العمار والخراب، بين الحياة والموت. فقد كانت قصيدة قوية في ألفاظها سـهلة فـي تناولهـا لموضوعها رائعة في طرحها.

قصيدة النفس العزيزة

للشاعر الشريف السعيطي

ولد الشاعر في نواحي منطقة النواقية عام 1888 وهو ينتمي إلى عائلة الربيدي من السعيطات الشمول، وهو من شعراء المهجر حيث قضى أكثر من ثلاثين عامًا في مناطق الفيوم والمنيا وعاد إلى أرض الوطن عام 1943م معه قصائد عديدة تناول أهمها ديوان الشعر الشعبي المجلد الثاني، توفي الشاعر بمدينة بنغازي عن عمر يناهز واحدًا وثمانين عاما ودفن بمسقط رأسه النواقية.

نفـــــسي عَزِيـــــزة وعَزّهـــــا مولاهـــــا

مانهينهـــــا حتــــــى إن طـــــال جفاهـــــا

يرسم لنا الشاعر أبعاد نفسه العفيفة التي يستلهم معزتها من الباري عز وجل، ويؤكد الشاعر على عدم التنازل عن هذه المبادئ حتى وإن كلفه ذلك أن يخسر أعز الناس لديه مدة طويلة.

عزها ناشيها خلقها وصورها عصر ما ليهـــا

أن صـــــار الجفـــــا م النـــــاس مـــــا يعنيهـــــا

كيـــــف عيـــــشة بالـــــذل كيـــــف بلاهـــــا

متكالْهـــــا علـــــى الله هـــــو اللـــــي يغنْيهـــــا

رزَق بالغـــــدا ووقـــــت العـــــشاَ عَـــــشّاها

يؤكد الشاعر أن نفسه التي تستمد هذه القوى المكينة الخارقة من الله قــد تعالت على تصرفات الناس أو رضائهم على حساب مبادئه وأخلاقياته، فالاثنان وجهان عنده لعملة واحدة، يرفض أن يعيش ذليلا لمجرد إرضائهم عنه.

عزها خلقها ولا نهينها عن طال الجفا ولحقها

الــــــنفس العزيــــــز ربنــــــا قربهــــــا

ولهــــا رزق عنــــده فــــي علــــوم نــــشاها

إن ذليتهــــــا لازم تــــــــشوف تعبهــــــا

وتحاســـبك علـــى مـــا صـــار فـــي ديناهـــا

يجسد لنا الشاعر بأن الله الذي خلقه هو القادر على إطعامه أو غنــاه، وليس التودد من البشر هو الحل الصحيح، وأن انفراج الكرب لا يأتي إلا من عند الله، وهو ليس بعيدًا من عباده المخلصين، مما جعله لا يــسعى لــسواه طالما هو المقصد للجميع. وفي الشطر الأخير يبين بأن تنازل الإنسان عــن مبادئه أذلها للآخرين ، فهو يشبه مشاهدته لهذه النفس بعدما قدمته من تنازل غير راضية مما يجعل ضميرك يحاسبك بعد إهانة الآخرين لك.

عزها م الهادي ولا تعــيش بمعيــشة صــغا

مـــــولاي خالقهــــا مــــن أول بــــادي

وهُــــوْ اللـــــي خَبيـــــرِ بفقرهــــا وغناهــــا

بما أن الله هو المعز فلماذا نعيش أذلــة ونكــرس المهانــة للعــدو أو الغاصب أو الطامع انطلاقًا من الله هو الخالق والرازق، فلماذا لا نجعلها في مرتبة أعلى من نفوس الآخرين لما لها من صفات نبيلة

طبعها ماو سأهل عارف أحوال الدهر ماني جاهل
ولا فـــي صـــغا ليـــام نبقـــى واحـــل
ولا نـــذل نفـــسي والعـــصر مرباهـــا
روس العـــرب ودك تكـــون مناهـــل
أن نزْحَـــت مـــوْيتهم قرِيـــب رجاهـــا

يؤكد الشاعر بأن ترفع نفسه على الأمور التافهة ليس انطلاقًا مـن جهله بأمور الحياة ومعرفة دروبها ومسالكها، ففي أصعب الظروف تجـد معيشتي على أحسن حال رغم عزة النفس موطنها عندي ويصف الرجـال في القبيلة أو البلاد أشبه بمناهل المياه حتى إن جادت بكميات كثيرة أمكـن تعويضها بعد لحظات.

تعود سريعة وكل وقت متعسر وراءه رديعـه
والـصاحب اللـي يبيعـك رخـيص تبيعـه
والـسيه إن صـارت فيـك لا تتـساها
الـدنيا تراجـع والـسنين وسـيعه
ويـن ملـت عـادن لـك بـرد كفاهـا

حث الشاعر على كون الظروف الصعبة قد تخلقها ظـروف حـسنة والصاحب الذي تهون عليه بسهولة يجب ألا تضعه موضع الصداقة الحقيقية بل اتركه وكأنك لم تتعرف عليه، وإن أساء إليك أحـدهم يجـب أن تـضع الأمور في نصابها، ولا تتساهل معه في حقك، كذلك يرى الشاعر أن الأيـام

بين كر وفر وما تفعله اليوم تجده غدًا من أفعال ومواقف مع الآخرين لــذلك اجعل مواقفك أساسها التحلي بالصفات النبيلة تجاه الآخرين الذين سيعاملونك على هذا الأساس.

الشاعر عبدالهادي أبو نصرالله

وهو ينتمي لعائلة سريريق من قبيلة الدرسة، ولد وعاش في مدينة طلميثه، وهو شاعر له العديد من القصائد الرائعة، وقد تناول غيره من الشعراء هذا اللون من الشعر وهي قصيدة جميلة متناسقة القوافي تحكي جمال الشعر عند المرأة وتصفه وصفًا دقيقًا.

1- لك سالف منسوع طرنزي [1]

ماح لونزي عسكر شاش لبوق برنزي

2 - لك سالف منسوع مواسي

عقلي هاسه بودملج طاقر مقياسه

3- جوف اللي من قوة حلاسه

ذب قفنزي جدي الريم لعب ناقنزي

4- لك سالف منسوع خيوط

ودار خطوط عساكر يدب يوم ارنوط

5- حزام اللي لا حس السوط

يفز فزنزي نين الدير يتم زونزي

(1) " ديوان الشعر الشعبي – المجلد الثاني – منشورات جامعة قاريونس – بنغازي ط 1 ص 332 " .

6- لـــــك ســـــالف منــــسوع طويـــــل ودور

يخيـــل زرع فـــي وادي مـــاه يـــسيل

7- ويـــــــن بهزتـــــــي بتجلويـــــــل

حديث عطنزي تمشي في مشيه طربنـــزي

8- لـــــك ســـــالف منـــــسوع منـــــوح

عطر فوح عـــسكر بـــين وكايـــل ســـوح

9- يانـــــا اللـــــــي منـــــه نـــــذوح

جرح رزنزي خلانـــي للمـــوت زهنـــزي

وكأنه يريد أن يقول ليتها الفتاة الحلوة جميلة القوام والتي لـــم يرغـــب الشاعر في ذكر اسمها لنا، حيث لا يعنينا هنا اسمها بقدر مضمون القصيدة، فإذا كان الشاعر قد انجذب نحو جمال الفتاة فعكف ينظم القوافي حتى جاءت القصيدة كعقد من اللؤلؤ البديع انتظمت حباته لتعلن عن جزئية من جمال هذه الفتاة، وهو ذلك الشعر المضفر وهو المعقود وقد جعلته تلك الفتـــاة يـــداعب نسمات الهواء العليل حيث شبه لنا الشاعر هذا الشعر وهو يتهادى مع الرياح مثل جموع من الجنود قد ضرب لهم البوق وهي صفارة تعني التجمع فهبوا هبة رجل واحد في صفوف متراصة.

لـــــك ســـــالف منـــــسوع مواســـــي

عقلـــي هاســـه بـــودملج طـــاقر مقياســـه

يواصل الشاعر وصفه لجمال الشعر المنساب في روعته والمتناسق في طوله مما جعله يعلن صراحة بأن هذه الفتاة ككل قد أصابتني فـــي صـــميم

عقلي حتى جعلتني أفقد القدرة على موازنة الأشياء وسلبتني القــدرة علـــى التحكم في وقاري واستعمل كلمة العقل في البيت بدلاً من مرادف آخر يعني العاطفة يعطينا دلالة على أن الشاعر قد اهتز عقله قبل عاطفته، وتعتبر هذه من الحالات الشاذة عند الشعراء الشعبيين، وكلمة بودملج تعني أسوار وهــو نوع من الحلى تلبس في اليد للمرأة ويكون من الفجرة أو الذهب تضعه الفتاة في يدها، وقد أبدع صائغه في رسمه وكأنه صمم لك خصيصًا فبــدا يــشكل لوحة جميلة متناسقة مع هذه الأيدي الرقيقة الناعمة.

جـــــوف اللـــــــي مـــــن قــــوه حلاســــه

ذب قفنزي جـــدي الـــريم لعـــب نــاقنزي

شبه الشاعر هذه الفتاة صاحبة القوام المتناسق كتناسق الغزال الصغير، وكأنه يريد أن يؤكد لنا أن تلك الفتاة في ريعان العمر وجميلة القوام حيث أوجد مقارنة جميلة بين صغر السن وتناسق الجسم بين الفتاة والغزال الصغير، كمـــا جاء في وصفه لكلمة جدي الريم محاولاً أن يجد صفة مشتركة ثالثة تجمع بين تهادي الفتاة في مشيتها المليئة بالدلال والكبر رغم صغر سنها أشـــبه الغـــزال الصغير الذي يلهو عبر القطيع وهو تنتابه حالة من السعادة.

لــــــك ســـــــالف منــــــسوع خيــــــوط

ودار خطوط عـــساكر يـــدب يـــوم ارنـــوط

ذلك الشعر الأسود المسترسل مع الهواء حيث يبدو للناظر مثل الخيوط السوداء في تناسقها وإبداعها أثناء خطوات الفتاة تبــدو كخطـــوط ســـوداء مرسومة بفعل الرياح، حيث تبدو أجمل من أن ترسمها أيدي فنـــان يحـــاول إتقان هذا المنظر الذي رسمته الطبيعة ابتهاجًا بجمال هذه الفتاة وشبه حالـــة ذلك الشعر الأسود المتناسق في رحلته عبر الهواء كمثل الجنود في لحظـــة

التدريب حيث تجدهم في صفوف متراصة وكأنهم يشكلون خيوطًا متجانسة بفعل أجسامهم:

حـــــزام اللـــــي لا حـــــس الـــــسوط

يفــز قفنــزي نــين الــدير يــتم زونــزي

يرسم لنا الشاعر الفتاة حينما تشاهد أحد الأشخاص حيث يرتسم على وجهه الانفعال والارتباك من جراء ذلك ويشبه هذه الصورة التي هي عليها كالفرس عندما يلامسها ألم السوط فإن كانت الفتاة تأخذ في الإسراع في خطواتها لتغيب عن الأعين فإن الفرس تقفز من شدة الألم محدثة خلفها انتشار الأتربة والغبار من جراء عملية القفز حتى تصبح غير مرئية.

لـــــك ســـــالف منـــــسوع طويـــــل

ودور يخيل زرع في وادي مــاه يــسيل

يشبه الشاعر الشعر المضفور الأسود المتناهي في جماله كاللوحة الفنية التي تكمل بعضها بعضا من حيث تناسق تقاطيع الوجه مع باقي أجزاء الجسم حيث يؤكد أن هذا الشعر الجميل قد تطاير على وجهه مشرق فبدا يشكل منظرًا يخلب الإبصار كالإشراق، ويشبه الشعر بالزرع الذي نما وترعرع في تربة خصبة وتوفرت له المياه، فيظهر هذا الزرع في هيئة جميلة تعجب الناظر إليه من جمال اللون واكتمال النمو مثل هذا الشعر الذي يزين رأس هذه الفتاة كالتاج الذي يلفت إليه الأنظار.

ويـــن بهزتـــي بتجلويـــل حـــديث عطنـــزي

تمـــــشي فـــــي مـــــشية طربنـــــزي

يصور لنا الشاعر أن تلك الفتاة قد ظهرت تجاهه فجأة من مكان لم يكن مرئيًا له، وكلمة بهزتي تعني هنا ظهرت لي فجأة، وهي ترتدي ملابسها الجميلة والمشتقة لهذه الصفة من ذلك الجسم الممشوق القد وحديث عطنزي يعني الشاعر بأنه حديث غير متوقع أن تخطو هذه الفتاة في مشية مليئة بالخيلاء، وهو ما قصده بكلمة طربنزي ليؤكد أنها كانت تزهو بجمالها عبر خطواتها الحلوة.

لك سالف منسوع منوح

عطره فواح

عسكر بين وكايل سوح

يؤكد الشاعر أن ذلك الشعر المضفور بصورة حلوة جذابة تشع منه روائح نفاذة تأخذ الأنفاس قبل العيون من جراء رائحته الزكية حيث ترسل هذه الروائح حينما تقترب من الآخرين كإشعاعات تحمل في مضمونه صفات الإعجاب بها ويشبه حالة هذا الشعر ورائحته الحلوة بالإضافة إلى منظره الذي يشد الناظرين إليه ولا يجد الشاعر صورة تماثل الحالة لديه سوى العساكر وهم الجنود الذي يرتدون أفضل ملابسهم ويقومون بالتنزه بين المحلات.

يا اللي منه نذوح جرح

رزنزي خلاني للموت زهنزي

ويقصد الشاعر هنا بكلمة نذوح توصيفًا جميلاً ويعني أنه أصبح لا مأوى له ولا مكان يلجأ إليه وهي حالة من عدم الاستقرار؛ وذاك نتيجة لعشقه لهذه الفتاة وإعجابه بها، وكلمة رزنزي يعني بها أصابتني في صميم فؤادي حتى أصبحت مشرفًا على المهالك مهيئًا نفسي للموت في أي لحظة من جراء هذا الحب أصبحت جسدًا بدون روح.

والمتفحص لهذه القصيدة يلاحظ أنه رغم الجهد المبذول من قبل الشاعر في تكثيف الصورة الشعرية الغاية في الروعة والقدرة على السبك في تناول جزئية معينة من الجمال ومحاولة تشريحها لنا حيث لم يعطني حتى مجرد دلالة أن هناك تفاهما أو تلاقيا حتى عبر العيون، ومن ثم يترك لنا إمكانية نسج خيوط البداية لرحلة عشقية، بل حاول الشاعر أن يكون صادقًا مع نفسه قبل أن يكون معنا فاكتفى بعدم ذكر اسم للفتاة أو مدى تجاوبها معه، وقد تكون تلك الفتاة الجميلة لها صلة رحم أو تربط أهلها بالشاعر علاقة الجوار أو أن هناك فوارق في السن بينهما جعلته يكتفي بنقل ما يدور خلجات نفسه من وسمات توسمها في هذه الفتاة، وقدمها لنا في عمل فني غاية في الروعة والإتقان.

كلمتني أرمبني (الشهير بوحليقة)

شاعر يهودي لم نستدل على مكان ميلاده ولكنه على الأرجح ولد في ليبيا في ضاحية من ضواحي مدينة المرج حيث عاش طفولته فيها وتأثر بما يتأثر به أنداده، أعْجب بالشعر الشعبي وبعد أن صقل تجاربه الشعرية وامتلك ثروة لغوية من خلال حفظه لكثير من أشعار الشعراء، عرف كيف ينظم القوافي وامتلك الموهبة الشعرية حيث أجاد في الكثير من القصائد الرائعة التي دون البعض منها وضاع الكثير من صدور الحفاظ، ومن هذه القصائد قصيدة يصف لنا امرأة لم يذكر اسمها ولم نحصل على عنوان لها، ومن الإنصاف أن نعتبر شاعرنا رائدًا من رواد علم الدعاية بصفة عامة والدعاية التسويقية بصفة خاصة في الوطن العربي قبل أن تعرف وسائل الاتصال الحديثة أسلوب الدعاية، بل كانت إرهاصاتها لا تزال لم تكتمل المعالم في أوربا في إطار الدعاية للملابس والأغذية وتوزع البضائع لأن الشاعر وهو تاجر أقمشة جعل من هذه الفتاة معرضًا متنقلاً بين البيوت والنجوع يعرض من خلالها أجود الأقمشة لديه، خاصة أن المرأة في منتصف القرن الثامن عشر كانت لا تغادر البيوت. والقصيدة شعرية وفنية غاية في الروعة يتذوقها محبو الشعر الشعبي حيث رسم لنا الشاعر ما في مخيلته عن طريق القوافي الشعرية من صور مبدعه لتلك الفتاة التي وصفها لنا في لون من ألوان الشعر الشعبي وهو لون العونجي أو العكنشي، وقد ولد هذا اللون حيثما تواجد كثير من الشعراء الشعبيين في حقبة واحدة، جعل كبار الشعراء ينحون منحى جديدًا وهو نوع من التطوير قد يعجز الآخرون من الشعراء على سلك هذه الطرق الواعرة وهي اعوجاج الأخيرة دون الإخلال بمعنى ومضمون التشطيرة الشعرية المعروفة عندنا، حيث يقول لنا في البيت الأول والثاني :

بيـــضا لبـــست ثـــوب زرنقـــي

جـــــــــــــت ترشـــــــــــــنقي

حـــــاكم ويـــــــراطن بفلنقـــــــي

بيـــضا لبـــست ثـــوب ازرق

وجـــــــــــــت ترشـــــــــــــق

قــــدمها دوبـــــه لـــــرض يطـــــق

أعطي الشاعر الدلالة لها من كونها بيضاء اللون وخلق التجانس بين لون البشرة ولون الثوب الأزرق الذي كان سائرًا ومحببًا لدى الفتيات في البادية في ذلك الوقت، حيث شبه لنا صورتها وهي تخطو أو تتمايل على الأرض بخفة متناهية ضمنيًا جسد لنا معاني الرشاقة ليؤكد لنا بأن قوامها الجميل ورشاقتها الحلوة جعلتها لا تطأ الأرض إلا لمجرد أن تخطو الخطوة الأخرى وبهذا يكون الشاعر قد خلف لنا صورة جميلة جعلنا نحس وكأنها أقصد الفتاة تلاعب الأرض مداعبة خفيفة من خلال ملامستها لها. ويؤكد إعجابه بها من خلال رؤيته لها في أكثر من مرة وهي ترتدي أكثر من لون فإن كان اللون الأزرق قد جعل لها جاذبية تسرق الأبصار نحوها فإنه لا يرجع ذلك بهذا اللون بقدر من أن جميع الألوان تجعل لها شفافية تسكب على شكلها وبشرته البيضاء حيث تبدو للناظرين غاية في الجمال واستحضر الشاعر الهيبة في تقاطيع الوجه والجسم لفتاة بموكب الحاكم أو المسؤول لما يوقعه من نفوس الناظرين له من كافة الناس، وهكذا جعلها الشاعر من وجهة نظرة الإبداعية تساوي موكب الحاكم والصولجان فيه مع كثرة الحراس بأن هذه الفتاة يحرضها جمالها الذي يسرق القلوب قبل الأبصار من العامة وهم الناس.

وفي البيت الثالث نجده يقول :

نخــف اللـــي عقلـــه واثـــق يـــتم

ســـــــــــــنلقي مجـــــــــــــروح

وجرحـــــــــــــه بعـــــــــــــشنقي

يتضح من خلال مطلع البيت أن جمال الفتاة له محراب يبهر الأبصار والعقول معًا، ويحدث بذلك سريان نشوة تنساب في أعماق الآخرين تجعلهـم يفقدون القدرة على تمالك زمام أنفسهم وهذا سلطان الجمال الذي يخرج كبار العقول، والمقصود هنا الشيوخ، عن اتزانهم المعروف عنهم وقد تصدر منهم تصرفات تبدو للناظرين خروجًا عن المألوف مـن شخـصياتهم المتـصفة بالاتزان وكأنها لحظات من الجنون اللحظات سببها هذه الرؤية التـي تولـد عنها عشق فجائي.

البيت الرابع يعود فيقول :

بيـــضا لبـــست م الروميـــة

خـــــــدك ضـــــــيه بـــــــارق

يلعـــــــب فـــــــوق مويـــــــه

نلاحظ في تكرار كلمة بيضا الإشادة بحلاوتها المتناهية وخلو تقـاطيع الوجه من أي عيب في نظره، وتأكيد على حلاوة منظرها ويعطي دلالة على أنه في تلك الفترة كانت تستورد بعض الأقمشة من إيطاليا ولا يريد أن ندخل في وصف نوعية هذا القماش بقدر ما حدد لنا مكان الصنع، وهناك نراه يقول إن الرومية تعني لديهم القماش الأسود وأشار الشاعر إلـى ملاحـة الوجـه وجماله حينما استعمل عبارة خدك ضيه فبدا لنا الوجه وكأنه إشراق يشع منه

نور جميل، وحينما أكد لنا ذلك شبه هذا الإشراق المرسوم على محياها كمثل إشعاع البرق حينما يرسم على المياه فتخطف الأبصار لحظات ثم يختفي كما تختفي هي في لحظات من أمامه.

في البيت الخامس يقول الشاعر :

وآلا باشـــــا يـــــوم لويـــــة

زق طلنقـــــــــــــــــــــــــــــي

مـــــا نمـــــشوا بالمــــال عفنقــــــي

نلاحظ أن الشاعر يجري مقارنة بين الفتاة في جمالها وبهائها المبهـر للأنظار والذي يدخل إلى أعماق النفس حيث يسري فيها نوع من الاحترام أو الرهبة لهذه الفتاة من قبل الجميع وبين الحاكم الذي يمتلك الهيبة والصولجان على الجميع لأنه مصدر السلطة والمال معًا، وكذلك أوامره مطاعة والباشـــا في تلك الفترة يعني الحاكم أو الشخص الذي يمتلك أموالاً طائلة بحيث تصبح له مكانة مرموقة عند الآخرين.

وفي البيت السادس نجد الشاعر يقول :

بيـــــضا لبـــــست م المـــــالاس

وحلـــــــــــــــى أكـــــــــــــداس

كمـــــا باشـــــا عامـــــد مجـــــلاس

يعود ويؤكد لنا أن بشرتها البيضاء تبدو غاية في الروعة وهي ترتدي المالاس وهو نوع من الأقمشة الفاخرة ويربط لنا الصور وكأنه الباشا حينما يتهيأ لحضور مجلس مهم فيرتدي أحلى ما عنده من ملابس وكأنه يربط بين الاثنين في شد انتباه عيون الآخرين نحوهما.

وفي البيت السابع :

دوى قـــال لهـــم ياهـــا نـــاس

الـــــــــــــدى وثنقـــــــــــــى

والخـــــاطي مـــــنكم للـــــــشنقي

يستمر في رحلة المقارنات، ويوضح لنا وكأنها الحاكم حينمـا يتربـع على كرسي الحكم أو الباشا حينما يحاول فض النزاع يعتبر كلامـه أوامـر حينما يقول : الدى وثنقى يعني أن يكون الكلام موثوقًا، من منكم الـصادق سينال مبتغاه والظالم سينال عقوبة على ظلمه وهي الشنق حيث يربط غيرة بين هيئة الباشا وهو يدير دفة مجلسه وتلك الفتاة وهـي تتهـاوى بجمالهـا ورشاقتها وخفة دمها على الآخرين.

وفي البيت الثامن نجده يقول :

بيـــضا لبـــست ثـــوب حريـــر

لهـــــــــــا تـــــــــــصوير

كمـــا ليـــر مـــصادف بـــوطير

تكرار الرؤية للفتاة كانت قريبة منه حيث أتاحت له العديد من المـرات رؤيتها حيث يصفها هذه المرة وهي ترتدي ثوب الحرير مما يعطينا الدلالة أن الفتاة لم تكن إلا من أسرة ميسورة الحال في تلك الآونة من خـلال ملابـسها، ويؤكد على أن الحرير زادها جمالاً وتخلى في هذا البيت عن المقارنـة عـن طريق الباشا والتي تعني الهيبة والاحترام واستبدل ذلك مقارنة نقديـة حينمـا يجمع بالمصادفة بين لير وبوطير عملة ذهبية قديمة كانت فـي تلـك الآونـة متداولة وأكثر قيمة ووزنًا عند الناس من السير، وبذلك أراد الشاعر أن يجعل جمالها وارتداءها لأفضل الملابس كمثل تلاقي الذهب بالذهب الأغلى.

وفي البيت التاسع :

حـــزام اللـــي فـــي الجـــو
تغيرهـــــي مــــــا تعرنقـــــي
والخيـــل مـــع الخيـــل شـــرنقي

يشبه الشاعر أقدامها وهي تخطو لها هيبة أقدام الخيل حينمـا تقـتحم ارتياد المجهول وهي صور جميلة حيث تبدو الفتاة بجمالها كمثـل المقـتحم والواثق من أسلحته وهو جمالها الأخاذ.

البيت العاشر نجده يقول :

بيـــضا لبـــست ثـــوب نقـــاوة
حـــــــــــــاكم تـــــــــــاوا
حبـــك فـــي المكنـــون تقـــاوى

يؤكد الشاعر على ارتدائها نوعية من الأقمشة كانت تمتـاز بنقاوتهـا الصامتة وشبه لنا الفتاة وكأنها الحاكم الذي يرتدي بدلته الرسمية ويختم البيت بالاعتراف بعد هذه الرحلة من الوصف المتكـرر إلـى جمالهـا وحـلاوة ملابسها، وقد انتصرت كما ينتصر الحاكم على مساخات أعماقـه وأوقـدت شعلة العشق داخلها.

وفي البيت الحادي عشر :

خـــدك تحـــت غطـــا يـــضاوي
بـــــــــــرق جلنقـــــــــــي
ســـيله خـــلا الغـــوط غلنقـــي

يبدو من خلال الأبيات أن الشاعر قد أعجبته الخدود التي يشع منها نور، ويؤكد أيضًا أن هذا النور لا شبيه له إلا البرق الذي ينطلق قبل هطول الأمطار ويجعل الأرض مليئة بالمياه والتي تبعث الحياة من جديد في هذه الأرض، كما أن رؤيتها تولّد في داخله أشياء جميلة، وبعد هذا العرض الجميل والوصف الحلو لهذه الفتاة الذي اكتسبه الشاعر من مهنته وهي بيع الأقمشة المعروفة مثل الثوب الأزرق والملابس ثم ثوب الحرير ثم ثوب نقاوة حيث جمع الشاعر من مهنته كتاجر للكلام الموزون والأقمشة معًا صورًا في العمل الإبداعي تضعه في أعلى مراتب الشعر الشعبي رغم كونه سلك أسلوبًا دعائيًا لعرض ما يحتويه محله حيث حافظ على جمال القصيدة وأوزانها وأوجد أسلوبًا تسويقيًا غير مسبوق على مستوى الوطن العربي، ولكن تبقى القصيدة ذات معالم دالة على روعة الشاعر وقدرته على إيصال المعاني وانتقائه الرائع للألفاظ مما جعلنا وكأننا نراها مرئية.

" بلها " للشاعر الكبير حسن لقطع

تناول الشاعر الكبير حسن لقطع معظم جوانب الحياة الاجتماعية كمواضيع لقصائده الشعرية الزاخرة بحلو اللفظ وجمال الصورة الشعرية ومدى قدرته في نظم القوافي في وصف المرأة، ومن خلال تلك الأبيات التي وصلتنا من قصائده نستطيع أن نحدد السمات والمقاييس التي كانت سائدة منذ وقت مضى.

والشاعر في العادة يصف لنا المرأة التي تقابله أو تحدثه في جلسة أو تنشأ بينهما علاقة ما وقد يتجاوز الشاعر في بعض الأحيان حقائق الأمور فيصف المرأة التي قد لا تكون موجودة في الحقيقة، ولكنه قد يجعلها في مخيلته رغم ذلك فيرسمها لنا ويجعلها حبه حتى يقنع الآخرين بهذه الحقيقة وكأنها عاشت أثناء حياة الشاعر وبقدر ما نفهمه ونتذوقه من المعاني الشعرية تتكون لدينا الصورة الذهنية عن نوعية العلاقة التي كانت سائدة بين الشاعر ومحبوبته فعندما تحدث الشاعر حسن لقطع عن المرأة في قصيدته المشهورة " بلها " نجده قد تناول فيها قضية الحب من طرف واحد ونشهد محاولة تحطيم تلك الجسور التي قد يترعرع عليها الحب أمام العوائق الاجتماعية في تلك العقبة.

والروعة في اكتمال هذه الصورة ونضوجها، أقصد قضية الحب من طرف واحد، بحيث جعلها مضمونًا لقصيدة متكاملة الأركان مليئة بالمصداقية تجاه هذه العلاقة محددًا الفوارق التي تقضي على هذه العلافة قبل أن تولد، ونجده في مطلع القصيدة يقول :

1- لا تريـــــدني ولانــــي قريـــب لهلهـــا

ولانـــي خواجـــة نـــين ناخـــذ بلهـــا

وهنا يحدد الشاعر ثلاثة فوارق بينهما تجعل هذه العلاقة بعيدة المنـــال أولا فهي لا ترغب فيه وبالتالي لا تعيره أي اهتمام، وقد يكون قلبهـــا يـــدق صوب غيره، والفارق الثاني هو عدم وجود روابط الدم التـــي قـــد تجعلهـــا تنجذب صوبه من خلال هذه العلاقة التي قد تلعب الأسرة دورها في إقناعها، والبعد الثالث في كونه لا يملك الأموال الكثيرة التي تقرب المـــساحات فـــي بعض الأحيان بين القلوب المتباعدة، لذلك لا يستطيع أن يحظى بهذه المـــرأة التي يتمناها الجميع.

وفي البيت الثاني يقول الشاعر :

2- لانـــــي لهـــــم مـــــن غـــــادي

ولانـــــي خواجـــــة واجـــــدات اذوادي

يؤكد الشاعر عن المعنى الوارد في البيت الأول من كونه لا توجد أي علاقة من أي نوع من أسرة " بلها " حتى علاقة الجوار، مما جعلنا نعتقد أنها من أماكن بعيدة عن المناطق التي نشأ وترعرع فيها شاعرنا وعـــرف بـــين أهلها وهي مناطق انتلات وغور الغولة ومدينة أجدابيا، بالإضافة إلى كونه لا يملك الثروة بمقياس ذلك الوقت والمتمثلة في المواشـــي والأغنـــام والإبـــل، ورغم تكرر المعني في البيتين من حيث عدم معرفته بأهلهـــا وفقـــره إلا أن الصورة المطروحة في البيت الثاني أراد بها الشاعر التأكيد على ما ورد في البيت الأول، واعتقد أن الشاعر أراد بهذا التكرار إيصال المعنـــى، لا أجـــد مبررًا لتكرار لفظ الخواجه، وهو يعني الرجل الثري في البيتـــين، وتكمـــن روعة الصورة الشعرية في البيت الثالث حيث نجده يقول :

3 – ولو سـمح لـوني كيـف لـون مـرادي

ولا عللـي يبقـى زيـن كيـف عللهـا

يؤكد الشاعر أن بشرته السوداء حالت بينه وبينها التي هي غاية في الجمال والتناسق، حتى الصفة التي يملكها من حيث كونه شاعرًا يملك القدرة على جعل المرأة تنجذب نحوه من خلال حديثه الحلو وتناسق قوافيه التي تعتبر مثار إعجاب الجميع نجده يعطي هذه الخطبة عن طيب خاطر لها من حيث كونها تملك ناصية الحديث الحلو المناسب من بين ثنايا جمالها البراق، مما جعلنا نحس أن شعره يستقى من نفسه وينبع من ذاته، وهذا هو الصدق عينه الذي يمزج الشاعر فيه بين الصدق الواقعي المتمثل في صورته الحقيقية التي لا ترغب " بلها " فيها، وبين الصدق الفني المتمثل في مشاعرها ورفضها له حتى في الخيال، ونجده في البيت الرابع يقول :

4– بحرهـا غريـق الجـال بنـت بـوادي

تقـيم الـدلال وباتهـا دللهـا

تكمن هنا براعة الشاعر حيث يقوم بمزج أمرين في وقت واحد، وهو القرب من اكتمال وصفه لشخصية " بلها " من ناحية نضوج الفكرة الشعرية وانسياقها نحو المعنى المراد عند الشاعر، مما يجعله ذلك يحلق بنا بعيدًا عن الجمال الشكلي التي تختص به بقية النسوة والتي في العادة تكون مصدر الإعجاب عند الرجال لذلك يضعها في مرتبة بعيدة المنال، فهو يؤكد بأنها ليست تلك المرأة التي تهز عواطفها أبيات من الشعر أو تنبهر نحو الأشياء البراقة لذلك نجده يحدد لنا المضمونية في ملامحها على أنها تلك المرأة المتصفة باكتمال العقل والتجربة معًا، العارفة بدروب الحياة ومسالكها، وخاصة في انتقائه للألفاظ المعبرة من قاموس التعابير الشعبية والدالة عن

شخصيتها في " بحرها غريق الجال "، ولا ينسى الشاعر مـن أن اتـصافها برجاحة العقل والمعرفة تجعلها بعيدة عن صفة من صفات اكتمال جوانـب المرأة وهي صفة الأنوثة التي يرى الشاعر أنها تنبع منها بـصورة مرئيـة جعلتها أكثر جمالاً في نظره، لذلك هي تستحق التقدير من الجميع، وبما أنها تملك كل ما سبق فكيف لا تكون تلك الفتاة المدللة وصاحبة المكان المرموقة في قلب والدها ؟ وفي البيت الخامس يحط الشاعر الرحال في محطة سمات المرأة البدوية حيث يتخذ من " بلها " نموذجًا لذلك.

5- طويلـــة وبيـــضا والعيـــون عـــوادي

وشـــعل بـــسواد ملويـــات خجلهـــا

يحدد لنا الشاعر إحدى سمات الجمال المحبب لديه وهو الطول الـذي يعطي الأشياء بهاء وجمالاً مميزًا، وتبدو ملابسها غاية في الروعة مع تناسق القوام الممشوة، لذلك يعتبر الشاعر القصر نقصًا في ملاحـة المـرأة التـي يصفها، وقد يختلف مع الشاعر كثيرون في جهة نظره ويفـضلون النـساء اللائي يملكن هذه الصفة رغم إن هناك استثناء عند البعض، ويحدد الـشاعر الشعر الأسود ويزداد الجمال جمالاً إذا امتلكت المرأة بعد كل ذلـك العيـون السوداء التي غالباً ما تشتهر بها النساء.

في البيت السادس يحاول الشاعر استعمال التعابير الساخرة في قالـب القصيدة الشعبية :

6- وتـضحك علـى لبـسي وشـين سـوادي

حتـى لـو كملـت دمـوع مـا نـشغلها

نلاحظ خروج الشاعر عن موضوعية الأشياء حيث يلجأ إلى التعبير عن اللفظ بأن يعبر بنوع من السخرية وهو الضحك عن عدم التوافـق فـي هـذه

العلاقة، لذلك لا يجد أمامه مبررًا سوى شكلية لونه وعدم اهتمامه بملبسه، فهو يصف نفسه بمصداقية قد لا تتوفر لكثير من الشعراء بحيث يكون هو الواصف والموصوف معًا، ويستحضر الشاعر حسن لقطع صورة غاية في الروعة والإبداع حيث سلك طريقًا لم يسبقه أحد، فقد تعود الشعراء أن يجسدوا لنا أنه حتى لو تحول جسمه المادي كله إلى دموع تستجدي محبوبته " بلها " لم تجد نفعًا ولا تؤثر تلك الدموع في تغيير عواطفها نحوه، ونجده في البيت السابع يكرر معاني سابقة تؤكد القدرة على تناول نفس الصورة بتعابير حديثة .

7- لانـــي قريـــب ولانـــي

غنـــي صـــاحب شـــوي وركيـــب

في البيت السابع تظهر مدى براعة الشاعر في التلاعب بالألفاظ الشعبية وقدرته على تناول نفس المعنى الوارد في البيت من حيث الصورة المراد إيصالها بنفس المرادفات الدالة عليها، مع الانتقاء الدال على إبداعه في التلاعب بالألفاظ والصور الشعرية.

ويتناول في البيت الثامن صورة غاية في التناسق :

8- حـــذاها كمـــل عمـــري ونـــا نـــذيب

وهـــي مخادعـــة تـــنقض اللـــي نفتلهـــا

في هذا البيت يوجد الشاعر علاقة بين المسافة الزمانية التي استغرقها هذا الحب من تفكيره ويشبه هذه المدة وكأنها العمر كله انقضى في عشق هذه المرأة التي لا تعيره اهتمامًا، ويأتي بكلمة المخادعة التي تعني في القصيدة بأنها أوحت بهذا العشق ثم تراجعت عن ذلك، وهذا ما لا تؤكده الصور الواردة عبر الأبيات السابقة، ولكنه يوظف هذه الكلمة بمعنى جديد يأخذ صفة الطازجة من القصيدة، ويعني أنها تقطع هي ما يحاول هو وصله في

هذه العلاقة حين يجسد لنا هذا التواصل وكأنها عملية صناعة سجادة هو يحاول جمع خيوط الصوف وترتيبها لتتجانس مع بعضها وهي تحاول العبث بذلك لعدم اكتمال الصورة في الاثنين معًا السجادة والعلاقة بينهما، وفي البيت التاسع يقول :

9- مغيرتي عليها نرتضي ونسيب

نهاب الطواطي نستحي نجلها

رغم كل ما حدث تظهر عزة النفس عند الشاعر عندما يؤكد أنَّ بإمكانه التخلي عن هذه العلاقة، وهو غير ملزم بالاستمرار فيها، ونحن نعرف جميعًا مع الشاعر أن هذه العلاقة لم تولد أصلاً بينما هو يترك لنفسه حرية الاختيار، فالاستمرارية من عدمها، وكلمة نهاب أي نتيجة إثارة الخلاف الذي قد ينتج عنه انتشار بناء هذه الدلالة على كونه له أخلاقيات ومنبعها الوفاء وهو لا يسعى لتشويه شخصها رغم كراهيتها له، وهنا نحس بنبل أخلاق الشاعر في عدم النيل من محبوبته رغم تفضيلها لغيره، ورغم إنها دخلت التاريخ من أوسع أبوابه من خلال تناول الشاعر لها في هذه القصيدة وفي البيت العاشر يقول :

10- لاني قريب دماية ولاني

غني صاحب أموال هتايا

تكرار هذه الصورة في أكثر من أربع أبيات تجعل الشاعر يحدد لنا عنصرين لعدم التوافق بينهما في هذه العلاقة هما عدم وجود صلة القرابة من ناحية وعدم امتلاكه للأموال من ناحية أخرى مؤهلات الزواج ، فهي إما صلة القرابة أو توافر الأموال.

وفي البيت الحادي عشر يقول الشاعر :

11- ولا تحـــب لـــي جيـــة ولا ســـهراية

ديمـــا تبـــولط واجـــدات ســـبلها

قد لا يصل شاعر لهذه المرتبة من حيث المزج بين الصدق الـواقعي في هذه العلاقة، فقد يرى البعض أن مجرد الاستمرارية في هذا المنحنى هو تقليل من قيمة الشاعر رغم تكرار علاقة الحب من طرف واحد، فقد أكد لنا ذلك في استعماله لكلمتي : لا تحب لي جيه ولا سهراية، وكأنه يريد أن يقول لنا إنها لا ترغب في رؤيته فاستحضار الشاعر لا النافية قبل كلمـة تحـب ليؤكد عدم الرغبة المسبقة في هذه العلاقة حيث ينتج عنه عدم اقتناعها بأنـه توجد قضايا بينهما تستحق أن يتجاذبا فيها أطراف الحديث، ويستخدم كلمـة ديما للدلالة على إنها بمجرد رؤيتها في الأمكنة التي يكـون فيهـا شـاعرنا واستعماله لكلمات " واجدات سبلها " قد يكون مع وجود الفتاة " بلها " أو أناس آخرين بمجرد قدوم الشاعر تختلق الأعذار لتغادر المكان، وفي البيت الثاني عشر يقول الشاعر :

12- تـــشاقص ادورع الخـــراب معايـــا

بغلطـــة بـــلا غلطـــة يـــصير زعلهـــا

يؤكد الشاعر استمرارية محاولاته للقرب منها جعل الرفض لا يعني الابتعاد عنه فقط بل جعله مرئيًا لنا من خلال تعبيرات وجهه التي تـسعى بكل السبل حتى لا يتعرض لها، وكأنها تقول له دعني وشأني واذهب فـي حال طريقك، أي إن تصرف معها تقابله سلبًا لا إيجابيًا لذلك هـي تنفعـل حتى من مجرد أن ينظر نحوها، فهل يعقل أن يكون شاعر في مـصداقية شاعرنا في نقل أحاسيس الصورة بهذه الروعة، وفي البيت الثالـث عـشر والأخير يقول :

13- هنـــاك مـــيط م الغيـــة اللـــي تهنايـــه

تقطيعتـــك لهـــا ولغيرهـــا تتولهـــا

يستعمل الشاعر كلمة هناك ميط ليؤكد أنها ليست حالة شـاذة فهنـاك الكثير من النجاح لهذه العلاقة ذات الطرف الأول، فكلمة مـيط هنـا تعنـي نوعية معينة من العلاقات العاطفية التي قد لا يحدث فيهـا الـصبر نتـائج إيجابية، لذلك يرى الشاعر من خلال تجربته أن أفضل الحلـول فـي هـذه النوعية هو تركها والبداية في رسم خيوط علاقة جديدة، ومن خـلال هـذا البيت يضع الشاعر اللمسات الأخيرة على لوحته الفنية التي جسد لنـا فيهـا حكايته مع امرأة، ولم يكتب لهذه العلاقة الولادة الطبيعية والنـشأة العاطفيـة المرورية بالعشق والذكريات الحلوة: ولكنها تبقى أقصوصة بطلها الـشاعر حيث كان فيها يتمتع بشفافية مرهفة الحس، لأنه جعل من نفـسه الواصـف والموصوف معًا، وهذا المنحنى لا يستطيع الكثير من الشعراء الخوض فيه؛ لأنه أشبه بالسيرة الذاتية لا يمكن تقبلها إلا بمصداقية مع النفس وقدرة بلاغية في انتقاء التعابير الدالة على المعنى المراد.

والمطلع على هذه الأبيات يرى مدى اعتداد الشاعر حسن لقطع بوحدة القصيدة وانتصار عناصرها لكي تؤدي عنده وحدة الشاعر، فوحدة القـصيدة عنده تعني الاتصال المحكم بين أبياتها لذلك نراه لا يصف إلا ما تراه عيناها لروحه وما يختمر به قلبه المفعم بالإبداع، لذلك نراه يؤكد على أن الـصدق ليس هو الصدق الواقعي للحياة، بقدر ما هو الصدق الفنـي الـذي يمتـزج ويعانق نفسه فيخلق عبر أحاسيسه ومشاعره إلى العالم الـذي يـسمو إلـى معانقته عبر قصائده التي تبدو غاية في الإبداع.

المحتويات

العنوان	الصفحة

العنوان	الصفحة

تنفيذ الطباعة والتجهيزات الطباعية

دار قباء الحديثة

للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة

جمهورية مصر العربية

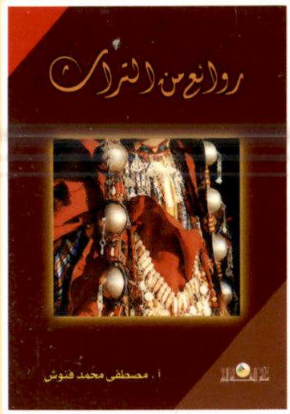
16 عمارات العبور - شارع صلاح سالم - مدينة نصر

تليفاكس 02/22621365 - تليفون 02/24025777

محمول 0123140315

E-mail: modern_qubaa@hotmail.com

http://www.qubaaalhadetha.com



يقدِّم مجلس الثقافة العام للقارئ الكريم مجموعةً من إصداراته الجديدة المتنوعة ، التي تتضمن أجناسًا أدبيةً وفنيةً ، تهدف إلى دعم الكتاب ونشر المعرفة وتنمية الذائقة الجمالية وإثراء الحركة الثقافية .. آمِلاً إسهامًا جادًّا يضيف إلى الحراك الثقافي رصيدًا مميزًا وفضاءً جديدًا للمعرفة وللحياة.

مجلس الثقافة العام